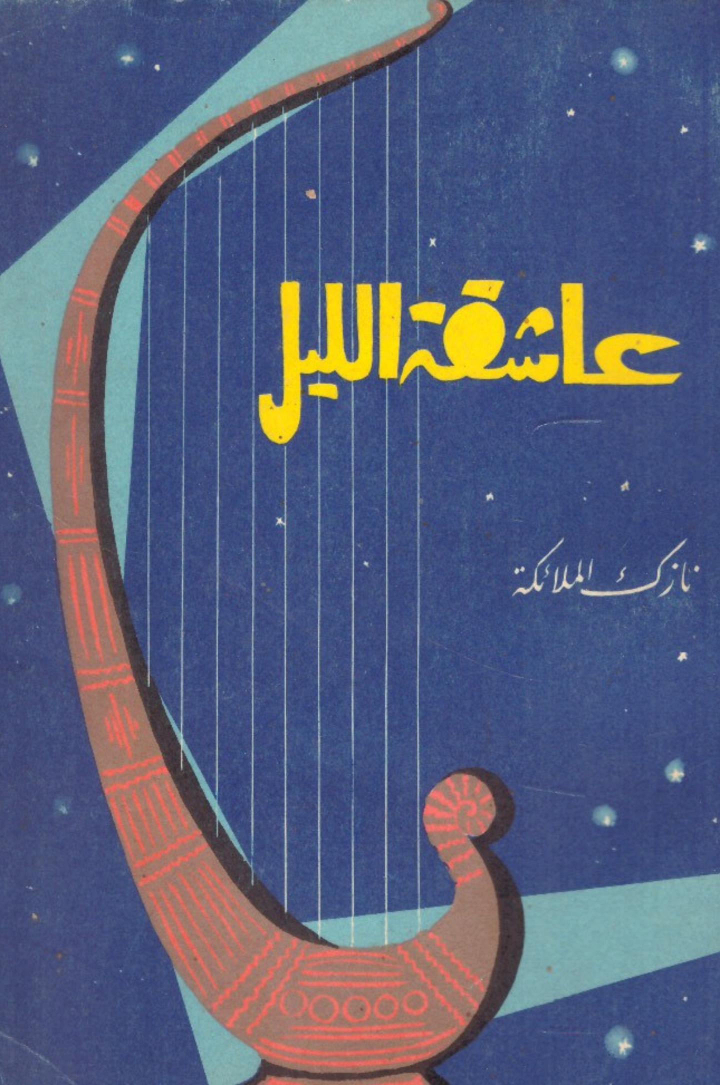
عاشقة الليل

نازك الملائكة



نازك الملائكة

عاشقة الليل

منشورات

المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت

الطبعة الثانية

آذار (مارس) ١٩٦٠

أُعبّرُ عمّا تحسُّ حياتي

وأرسمُ إحساسَ روحي الغريبْ

فأبكي إذا صدمتني السنينْ

بخنجرِها الأبديِّ الرهيبْ

وأضحكُ ممّا قضاهُ الزمانْ

على الهيكلِ الآدميِّ العجيبْ

وأغضبُ حين يُداسُ الشعورْ

ويُسخرُ من فورانِ اللهيبْ

نزار

ذكريات ممحوة

وجهُكَ أخفاهُ ضَبابُ السنينْ
وضمّهُ الماضي إلى صدرِهِ
ألْقَى عليه من شبابي الحزينْ
أحزانَ قلبٍ تاه في ذُعْرِهِ

وصوتُكَ الخافيْ تَخبّا لحنُهُ
وأوحشَتْ مَسْمَعيَ أصداؤه
فلستُ أدري الآنَ ما لونُهُ ،
ما رجعُهُ الصافي ، وإيحاؤه

ولونُ عينيكَ ، وأسرارُهـا ،
وشَعرُكَ الداجي ، وأمواجُـه
غابتْ جميعـاً . أينَ تَذكارُها
في ليلِ قلبٍ طال إدلاجُهُ ؟

كم ، في سكونِ الليلِ ، تحتَ الظلامْ
رَجعتُ للمـاضي وأيّامِـهِ
أبحثُ عن حبّيَ بيـن الرُكامْ
فلم تَصِدْني غيرُ آلامِـهِ

لم يَبقَ شيءٌ غير حُزني المريرْ
بقيّـةٌ من حبّيَ الذاهـبِ
وذكرياتٍ من صِبايَ الغريرْ
ساخرةٍ من وجهيَ الشاحبِ

وأصبحتْ ذكراكَ وهْماً يـــلوح
يشتاقهُ قلـــبي الكئيبُ الغريرْ
يا جَسَداً ، كالقبر ، ما فيه روحْ
سمّيتُهُ قلبـــاً ، فيا لَلْغرورْ !

وأيُّ قلـــبٍ جامـــدٍ باردٍ
أيُّ حياةٍ تحتَ ظـــلّ الخمودْ
لولا صُراخُ الزّمن الحاقـــدِ
لضِقْتُ بالعيش وعِفْتُ الوجـودْ

لم يَعُـــدِ الحُبُّ أسىً مُحرقا
يُشْعِـــلُ أيّامي بأحزانِـــهِ
ولم يَعُـــدْ جَفْنـــيَ مُغْرورِقـا
يُحْرِقُـــه الدمْـعُ بنيرانِـهِ

لم يَبْقَ إلا ثورةٌ واحتقارْ
ملء حياتي المُرَّةِ الحالمه
ألنارُ ذابتْ وتبقّى الشّرارْ
تشربُهُ أحلاميَ الواهمه

وطيفُكَ الخابي هَوَى نجمُهُ
وغابَ في الماضي الرّهيب الأبيدْ
ووجهُكَ القاسي ذَوَى رسمُهُ
في مُقْلتي فهو خيالٌ بعيدْ

مَضَى زمانٌ كنتُ فيه التي
تفتنُها أنغامُكَ الصافيه
وروحُ أشعاركَ في وحْدتي
وحيي الإلهيُّ وأشعاريَه

مَضَى وأبقـــى لي فؤاداً يرَى
فيكَ جمــاداً من ترابٍ وطــــينْ
أسكنتُهُ يومـــاً أعـــالي الذُّرَى
وأرجعتَهُ للحضيضِ السنـــينْ

لم يَبْقَ منـكَ الآنَ شيءٌ جميـلْ
غــير اسمِكَ العذْبِ وأصدائه
ذكرىً لقلبٍ كان يوماً نبيلْ
فبــات في حَمْــأةِ أهوائــه

ملامحُ الهيكلِ عنـدي امّحتْ
ألوجهُ ، والبَسْمةُ ، والمُقْلتانْ
لم يَبْقَ الا اسمٌ ، وروحٌ خوَتْ
وذكرياتٌ قــد محَاها الزمانْ

مَدَدْتُ كفّيّ إلى جوّها
باحثةً عن سِحرها السابقِ
فلم أجدْ ثَمّ سوى شِلْوها
يَسْخَرُ من مدمعيَ الدافقِ

وعاد قلبي للأسى والعذابْ
مستوحشاً حتّى من الذّكرياتْ
من يُرْجِعُ الماضي إذا ما الضّبابْ
ألقى دُجاهُ فوقَ ليلِ الحياةْ ؟

وما مَحَاهُ الزّمَنُ القادرُ
أيّ يدٍ تكتُبُهُ من جديدْ ؟
فيمَ إذنْ يلتفتُ الشاعرُ
إلى دُجى الماضي الرهيبِ الأبيدْ ؟

٢٠ ـ ٨ ـ ١٩٤٦

ذكرى مولدي

مهداة الى «كاملة» صديقة طفولتي
التي لم أعد أعرف منها إلا اسمها

جئتِ يا ذكرياتُ شاحبةَ الوجهِ
حيارَى في موكب الأيامِ
جئتني والشبابُ باكٍ بعينيّ
وحولي جنازةُ الأحلامِ
رغباتي دفنتُها في ثرَى الماضي
وقلبي منا عادَ غيرَ حطامِ
ودموعي رمزٌ لما لقيتْهُ الروحُ
في غيهبِ الوجودِ الدامي

*

جئتِ يا ذكرياتُ ، ما أفظعَ الذكرى
وما اروعَ الرّجاءَ الفقيدا
ليتَ قلبي قد كانَ صخراً أصمّاً
كلّ يومٍ يَبْني رجاءً جديدا
ليتَهُ كان جامدَ الحسّ ، كالطّين ،
يعيشُ الحياةَ جَذْلاً سعيدا
ليتَهُ لم يكن ،
ويا ليتني أعتاضُ عنهُ حجارةً أو حديداً

*

والتقينا مع الصباح ،
فيا خيبةِ نفسي ، أيُّ التقاءٍ مريرٍ
وجهُكِ الشاحبُ المروّعُ يُبكيني
ويُحيي ذكرى صبايَ الغريرِ
وبعينيكِ قطرةٌ من دموعي
وعلى فيكِ آهةٌ من زفيري
أسفاً قد حفظتِ أحزانَ قلبي ،
وتجاهلتِ نشوتي وحبُوري

*

شَهِدَ الفجرُ كيفَ ، يا ذكرياتي ،
كان هذا اللقاءُ أشجى لقاءِ
عانقَتْني أشباحُكِ الباكياتُ الخُرْسُ
باليأسِ والشَجَا والبكاءِ
ووقفنا ، تحتَ الصباحِ ، تماثيلَ حيارَى
كأنفُسِ الشُعَراءِ
والحنتْ فوقنا الشُجَيْرات حزْناً
تتباكى بأدمُعٍ خرساءِ

*

أسفاً ، ضاعتِ الطفُولةُ في الماضي
وغابتْ أفراحُها عن جفوني
وهي ، لو تعلمينَ ، أجملُ ما يملِكُ قلبي
وما رأتْهُ عيوني
حينما كنتُ طِفلةً أجهلُ السرّ
وأحيَى في غفلةٍ من شجوني
كالعصافيرِ ، املأ الدارَ لهواً وغناءً
وأستحبُّ جنوني

*

مات أمسي الضَحوكُ واعتَضْتُ عنه
بشبابٍ مرّ ، ودمع ، ويأسِ
وَخبَتْ ذكرياتُهُ البيضُ في بحر شعوري
وليلِ قلبي ونفسي
أين تلكَ الوجوهُ ؟ كيف نسيتُ الآنَ ؟
من ذا يُعيدُ لي فجرَ أمسي ؟
كلُّ وجهٍ عفّاهُ مَرُّ الليالي
فهو طيفٌ وراءَ وعيي وحسّي

*

أعبُرُ العُمْرَ كلّهُ نحو أمسي
ويعودُ الشعورُ بي للتلالِ
مجلسي فوق تلّيَ الحلْوِ وحدي
أو شرودي بينَ الشّذَى والظِلالِ
ومعي الطفلةُ الصّديقةُ
نبني فوق وجه الرّمالِ عرشَ الخيال
عمرُنا قصّةٌ ، ولحنٌ نغنّيه ،
وقلبانِ في نقاءِ الرّمالِ

*

أين أصبحتِ يا رفيقةَ أمسي ؟
ما الذي قد شهِدْتِ فوقَ الوجودِ ؟
أترى تذكرين ، مثليَ ،
أيّامَ صِبانا وحُلمَنــــا المفقودا
أم ترى قد نسيتِني ونسيتِ الأمسَ
في فرْحةِ الشّبابِ الرغيدِ ؟
أبـــداً لستُ ، لستُ أنسَى
وإن كنتِ تهاويتِ في الزّمانِ البعيدِ

*

أترى أبصرتْ عيونُــــكِ في الأرضِ
كما أبصرتْ عيوني شقاها ؟
أرأيتِ الأحزانَ في كلّ قلبٍ ؟
ورأيتِ النفوسَ في بلواهـــا ؟
أسمعتِ الصُراخ يُرسِلُهُ الأحياءُ
والأرضُ أغرقتها دماها ؟
حدّثيني ، صديقةَ الأمسِ ،
هاتي عن لياليكِ ، بِشْرِها وأساهــا

ربما كنتِ ، يا رفيقةُ ، مثلي ،
زورقاً في البحار عاد حُطاما
ألرّفيقاتُ غِبْنَ عنكِ
وآثرنَ عليكِ الشّرورَ والآثاما
فكتمتِ الشعورَ في قلبك الصافي
وصُنْتِ الاحزانَ والآلاما
وقضَيْتِ الحياةَ في الوحدة الخَرْساءِ
تستلهمينها الأحلاما

*

أنصتي من مكانك الغامض المجهولِ
أصغي إلى نشيدي الصافي
أوَتدرين ما الّذي صنعتْهُ
سنواتُ العُمْر الرهيبِ الخافي ؟
إنّه يومُ مولدي ، يومُ أحزاني ،
وذكرى الرُسُوّ عند الضّفافِ
حينما أوقفت سفينتيَ الأقدارُ
بين الأمواجِ ، تحت السّوافي

*

إنّه يومُ مولدي ،
أين أفراحُ شبابي أعيدُها للسّنينا ؟
كيف مرّ العامُ الحزينُ بقلبي المُرّ ؟
أين الثلاثُ والعشرونا ؟
كيف مرّتْ هذي السنينُ ولم أدْرِ ؟
ومالي ذوّبتُ عُمْري أنينا ؟
لم أنَلْ من ظلامِهِ المرّ
إلا أملاً ذاهباً وروحاً حزينا

*

انه يومُ مولدي ،
ولقد مرّ بعُمْري الداجي كظلٍّ شقيّ
عِشْتُهُ في قصائدي ودموعي
بين جُدْران معبدي الشاعريّ
لا فؤادٌ معي يُشاركني حُزْني
ويبكي على شبابي الدّجيّ
لا رفيقٌ في غُرْبتي ووجومي
غيرَ قلبي الشجي ودمعي النقيّ

١٩٤٦/٨/٢٣

الحياة المحترقة

«كتبت الشاعرة هذه القصيدة
عندما ألقت بمذكراتها الى النار .»

هـــذه يا نارُ أفراحي وشوقي وشجوني
جئتُ أُلقيها إلى فكيكِ في فجري الحزينِ
كلُّ ما مرَّ بقلبي من شقاءٍ وحنـــين
إلتقفيه الآنَ لا تُبقي ولا تستمهليني

هذه الأسطُرُ قـــد ضمّت بقايا سنواتي
منذُ أن ألقتْ بيَ الأقدارُ في تيهِ الحيـــاةِ
طفلةً ترنو الى الشاطيء عبرَى النظراتِ
وترَى العالمَ بحراً مُغرَقاً في الظلُـماتِ

سَنَواتي كلّها يا نارُ في هـــذي السّطورِ
وأغاريدي ، وأشواقُ حياتي ، وحُبوري
وبقايا من حنيني ، وشظايا من شُعوري
وأباديدُ من الأحـلامِ والحُزْنِ المريرِ

إنّها أيّتُهـا النارُ ، أزاهـيرُ شبابي
صُغتُها ذكرىً لأحزاني ، ورمزاً لعذابي
ومحا أسطُرَها دمعي وأبلاهـا اكتـآبي
فَخُذيها ، وأعيديها رُكامـاً من تُرابِ

أحرقيها ، لم أعُدْ أعبأ ، لن أبكيْ شَذاها
إنّها ، يا نارُ ، ذكرىً لليالٍ لن أراها
دَفَنَ الماضي خَفاياها الحَوالي ومَحاها
وطوتْها لُجّةُ النسيانِ في عُمْقِ دُجاها

ذهبتْ تلكَ الليـالي وطوى الدهْرُ صبايا
أيُّ نَفْعٍ بعْـدُ يا نارُ لدمْعي وأسايا ؟
أيُّ معـــنىً لادّكاراتي وشوقي ومُنَايا ؟
لن يعودَ الأمسُ ، لن تَلْقَى سَناهُ مُقْلتايا

أيّها الحاضرُ لا تُسْرعْ الى الماضي البعيدِ
ولْتَقِفْ مركَبَةُ الشمسِ على الأفْقِ المديدِ
ليكُنْ بعدُ صِبانا تحت أفيـاءِ الخُلُودِ
آهِ ولْيَمّحِ لفظُ الأمس ، من سِفْرِ الوجودِ

أو أبِدْ ما تَرَكَ الماضي من الأحزانِ فينا
وامسحِ الذكرى ولا تُبْقِ لنا الشوقَ الدفينا
حسبُنا الحاضرُ آلاماً ودمعـــاً وشُجُونا
رحمةً فلْتَمْسَحِ الماضي وآثارَ السِنينـا

فيمَ تبقى ذكرياتي حيّةً بعدي وأنسى ؟
كلّ يومٍ أُمرعُ الخَطْو عن العالم يأسا
وهي ما زالتْ شباباً ناضراً ، جسْماً وَنفْساً
آهِ ما أعنفَ أحقادي على الذكرى، وأقسى!

أيتها النارُ النَهَبي في المَوْقِدِ الداوي الرهيبِ
وخذي من فتنةِ الذكرى غذاءَ للّهيبِ
إثأري منها ، أعيديها رَماداً ، وأذيبي
ودعيني مرّةً أضحكُ من قلبي الكئيبِ

٧ ـ ٦ ـ ١٩٤٦

في وادي العَبيد

ضاع عُمْري في دياجيرِ الحياةِ
وَخبَتْ أحلامُ قلبي المغرَقِ
ها أنا وحدي على شطِّ المماتِ
والأعاصيرُ تُنادي زورقي
ليس في عينيّ غيرُ العَبَراتِ
والظلالُ السودُ تحمي مفرقي
ليس في سَمْعيَ غيرُ الصَرَخاتِ
أسفاً للعُمْرِ ، ماذا قد بَقِي ؟

سَنَواتُ العُمْرِ مرّت بي سِراعا
وتوارتْ في دُجَى الماضي البعيدْ
وتبقَّيْتُ على البحْرِ شِراعا
مُغْرَقاً في الدمْعِ والحزنِ المُبيدْ
وحدتي تقتلُني والعُمْرُ ضاعا
والأَسى لم يُبْقِ لي حُلماً جديدْ
وظلامُ العيْشِ لم يُبْقِ شُعاعا
والشّبابُ الغَضُّ يَذْوي ويَبيدْ

أيُّ مأساةٍ حياتي وصبايا
أيّ نارٍ خلفَ صَمْتي وشَكاتي
كتمتْ روحي وباحتْ مُقْلتايا
ليتها ضنّتْ بأسرار حياتي
ولمن أشكو عذابي وأسَايا ؟
ولمن أرْسلُ هذي الأغنياتِ ؟
وحوالِيَّ عبيدٌ وضحايا
ووجودٌ مُغْرَقٌ في الظُلُماتِ

أيُّ معنىً لطُموحي ورجائي
شَهِدَ الموتُ بضَعْفي البَشريّ
ليس في الأرض لُحزْني من عزاءِ
فاحتـدامُ الشرّ طبْعُ الآدميّ
مُثُلي العُلْيا وُحلْمي وسَمائي
كلّها أوهامُ قلبٍ شاعريّ
هكذا قالوا... فما معْنى بَقائي ؟
رحمةَ الأقدارِ بالقلب الشقيّ

لا أريدُ العيشَ في وادي العبيدِ
بين أمواتٍ... وإن لم يُدْفَنوا...
جُثَثٌ ترسَفُ في أسْرِ القيُودِ
وتماثيلُ اجتوتْها الأعيُنُ
آدميّونَ ولكنْ كالقُرودِ
وضِبَاعٌ شَرْسةٌ لا تُؤمَنُ
أبداً أسمعُهم عذْبَ نشيدي
وُهمُ نومٌ عميقٌ مُحزِنُ

قلبيَ الحُرُّ الذي لم يَفْهموهُ
سوف يَلْقَى في أغانيه العَزَاءَ
لا يَظُنّوا أنّهم قد سحقوهُ
فهو مـا زالَ جَمَالاً ونَقَاءَ
سوف تمضي في التسابيح سِنوهُ
وهمُ في الشرّ فجراً ومساءَ
في حَضيضٍ من أذامُ ألفوهُ
مُظْلِمٍ لا حُسْنَ فيه ، لا ضياءَ

*

إن أكنْ عاشقةَ الليلِ فكأسي
مُشْرِقٌ بالضوءِ والحُبِّ الوَريقِ
وجَمَالُ الليلِ قد طهّرَ نفسي
بالدُجَى والهمس والصمْتِ العميقِ
أبداً يملأ أوهامي وحسّي
بمعاني الرّوحِ والشِعْرِ الرقيقِ
فدعُوا لي ليلَ أحلامي ويأسي
ولكم أنتم تباشيرُ الشُروق

٨ / ٨ / ١٩٤٦

ثورةٌ على الشمس

هدية الى المتمردين

وَقَفَتْ أمام الشمس صارخةً بها
يا شمسُ ، مثلُكِ قلبيَ المتمرِّدُ
قلبي الذي جَرَفَ الحياةَ شبابُـه
وَسَقَى النجومَ ضياؤه المتجدِّدُ
مهلاً ، ولا يخدعكِ حُزْنٌ حائرٌ
في مقلتيَّ ، ودمعةٌ تتنهّدُ
فالحزنُ صورةُ ثورتي وتمرُّدي
تحت الليالي ، والألوهةُ تَشْهدُ

مَهلاً ولا يخدَعْــكِ حزنُ مـلامحي
وشُحوبُ لوني وارتعــاشُ عواطفي
واذا لمحتِ عــلى جبيني حَـيْرتي
وسُطُورَ حزني الشاعريِّ الجــارفِ
فهو الشعورُ يُثــيرُ في نفسي الأسَى
والدمْعَ في هول الحيــاةِ العاصفِ
وهي النبــوّةُ لم تطِرْ فتمرّدَتْ
بالحـُزْنِ ، في وجهِ الحيــاةِ الكاسفِ

شَفتَايَ مُطْبَقتانِ فوق أساهمــا
عينــايَ ظامئتانِ للأنــداءِ
تَرَكَ المســاءُ على جبيني ظلّهُ
وقضى الصبــاحُ على جديـدِ رجائي
فأتيتُ أسكُبُ في الطبيعـة حَيْرَتي
بين الشّــذَى والوردِ والأفيــاء
فسَخِرْتِ من حُزني العميقِ وأدْمعي
وضَحِكْتِ فوق مرارتي وشَقَائي

يا شمسُ حتى أنتِ ؟ يا لَكَآبتي !
أنتِ التي ترنو لها أحلامي
أنتِ التي غنّى شَبابي بِاسمها
وشَدَا بفَيضِ ضيائها البسّام
أنتِ التي قدّستُها وتَخِذْتُها
صَنَماً ألوذُ به من الآلامِ
يا خيبةَ الأحلامِ ، ما أبقَيْتِ لي
الا ظلالَ كآبتي وظلامي

سأحطّمُ الصَنَمَ الذي شيّدْتُهُ
لكِ من هَوَايَ لكلّ ضوءٍ ساطعِ
وأديرُ عيني عن سَنَاكِ مُشيحةً
ما أنتِ الاّ طيفُ ضوءٍ خادعِ
وأصوغُ من أحلامِ قلبي جَنّةً
تُغْني حياتي عن سَنَاكِ اللامعِ
نحنُ ، الخياليّينَ ، في أرواحنا
سرُّ الألوهةِ والخُلودِ الضائعِ

لا تنشُري الأضواءَ فوق خميلتي
ان تُشرقي ، فلغيرِ قلبي الشاعرِ
ما عاد ضوؤكِ يستثيرُ خوالجي
حسْبي نجومُ الليلِ تُلهِمُ خاطري
هنّ الصديقاتُ السواهرُ في الدُجَى
يفهمن روحي وانفجارَ مشاعري
ويُرقِنْن في جَفْني خُيوطَ أشعّةٍ
فضيّةٍ ، تحتَ المساءِ الساحرِ

أالليلُ ألحانُ الحياة وشِعْرُها
ومَطافُ آلهةِ الجمالِ المُلْهِمِ
تهفو عليه النفسُ غيرَ حبيسةٍ
وتحلّق الأرواحُ فوقَ الأنجُمِ
كم سِرْتُ تحتَ ظلامه ونجومِهِ
فلسِيتُ أحزانَ الوجودِ المُظْلِمِ
وعلى فمي نَغَمٌ إلهيٌ الصدَى
تُلْقيهِ قافلةُ النجومِ على فمي

كم رُحتُ أرقبُ كلَّ نجمٍ عـــابرٍ
وأصوغُ في غَسَقِ الظلامِ مــلاحني
أو أرقبُ القمَرَ المودِّعَ في الدُجَى
وأهيمُ في وادي الخيـــال الفـــاتنِ
ألصمتُ يبعَثُ في فـــؤادي رعشةً
تحت المساء المُـــدْلهِمِّ الساكن
والضوءُ يرقُصُ في جفوني راسمـــاً
في عُمْقهـــا أحلامَ قلبٍ آمـــنِ

يا شمسُ ، اما أنتِ .. ماذا ؟ ما الذي
تلقـــاهُ فيكِ عواطفي وخواطري ؟
لا تَعْجَبي أن كنتُ عاشقةَ الدُجى
يا ربّـــةَ اللّهَبِ المذيبِ الصـــاهرِ
يا من تُمَزّقُ كلَّ حُلْـمٍ مُشْرِقٍ
للحـــالمينَ وكلَّ طيفٍ ساحـــرِ
يا من تُهدِّمُ مـــا يشيّدُهُ الدُجى
والصمْتُ في أعمـــاق قلب الشاعرِ

أضواؤكِ المتراقصاتُ جميعُها
يا شمسُ أضعفُ من لهيب تمرُّدي
وجنونُ نارِكِ لن يمزّقَ نغمتي
ما دام قيثاري المغرّدُ في يدي
فاذا غمَرْتِ الأرضَ فلْتتذكّري
أني سأخلي من ضيائكِ معبدي
وسأدفِنُ الماضيْ الذي جلّلتِهِ
ليخيّمَ الليلُ الجميلُ على غدِي

٨ ــ ٧ ــ ١٩٤٦

بينَ فكَّيِ الموت

« كانت الشاعرة مصابة بحمى شديدة
فكتبت هذه القصيدة الحزينــة تودع
الحياة وتستقبل العالم المظـــلم . »

يا مساءَ الصيفِ الحزينِ
خَبَا حُبّي لما فيكَ من أسىً وخُشوع
وتبرّمتُ بالسكونِ ، وبالأشباحِ ،
واعتَضْتُ عنها بدموعي
لم يَعُدْ في قلبي هوىً لدياجيكَ
فيا رحمةً بقلبي الوجيعِ
رحمةً يا ظلامُ ، يا صَمْتُ ، يا أسرارُ ،
بالخافقِ الشقيِّ المَرُوعِ

ها أنا، تحتَ دجنّةِ الليلِ،
روحٌ مستطارٌ في هيكلٍ موهونِ
صرخاتُ الحمّى تحطّمُ أحلامي
وأحلامَ قلبيَ المحزونِ
يا عيونَ النجومِ، لا ترمقيني
لم يعُدْ في سَناكِ أيُّ فتونِ
وامدُدي يا رياحُ كفّيكِ، لطفاً وحناناً،
على فمي وجبيني

ها أنا، بين فكّيِ الموتِ،
قلباً لم يزَلْ راعشاً بحبِّ الحياةِ
وعيوناً ظمأى الى متعِ الكون
تناجي مفاتنَ الأمسياتِ
لم أزَلْ برعماً على غصنِ الدهْر
جديدَ الأحلامِ والأمنياتِ
فحرامٌ أن تدفِنَ الآن، يا موتُ، شبابي
في عالم الأمواتِ

ها أنا ، عند هُوّةِ الزَمنِ المُظْلِمِ
بينِ الأمواتِ والأحياءِ
من ورائي صِباي َ
بينَ الأناشيدِ ، ولهوِ الطُفولةِ الحسْناءِ
وأمامي وادي المنايا ،
قبورٌ ، في ظلالِ المنيّةِ الخرْساءِ
أفُقٌ راعبٌ رهيبُ المعاني
ضمّ أرجاءَهُ الدُجَى اللانهائي

أيها الموتُ ، وقفةً ،
قبل ان تُغْري بجسمي سكونَكَ الأبديّا
آهِ دعني أملأْ عُيوني من الأنوار
وارحمْ فؤاديَ الشاعريّا
آهِ دَعْني أودّعِ العودَ يا موتُ
فقد كان لي الصديقَ الوفيّا
وأُرنّمْ لحنَ الوَداعِ لدنيايَ
لأمضيْ للموتِ ، قلباً شقيّا

رحمةً بي ، يا أيها الموتُ ،
وارفقْ بفؤادٍ نالتْ هواهُ الحياةُ
أعفِني الآنَ من مُفارقةِ الدُنيا
ودَعْني الى غدٍ ، يا مَماتُ ،
لا أُحبُّ الظلامَ ، فلَيكُنْ موتي في غدٍ ،
حينَ تَغرُبُ الظُلُماتُ
حينما تضحكُ الطبيعةُ في الوادي الأغنّ الحالي
وتَشْدو الرُعاةُ

يا سكونَ الليل العميقِ ، وَداعاً !
إنها ، يا سكونُ ، آخرُ ليله
لم يَعُدْ في الجسْم الوَهونِ سوى
بُقيا حياةٍ ونَسْمةٍ مضمحلّه
لم يَعُدْ في السّراجِ إلاّ
وميضٌ شاحبٌ مدّ حولَهُ الموتُ ظِلّه
وانتهى يا ظلامُ تحتَكَ تَجْوالي ،
وشِعْري ، وأُغْنياتي المُمِلّه

وستمحو الأيامُ ذكْرَ فتاةٍ
شغَفتْها إلهــةُ الشعرِ حبّا
فقَضَتْ أمسياتِها تتبعُ الأطيافَ والعاصفاتِ
شرقاً وغربا
يا جناحَ الخيالِ ، لم يَبقَ ريشٌ
يا ظلامَ الفناء ، لم تُبْقِ قلبا
ليس إلا جسمٌ تُضعضعُهُ الحمّى
وطرْفٌ يَطوي الدياجيرَ رُعْبا

أيها الليلُ ، أيّها العالَمُ الغامضُ ،
قد أسدلَ الستارُ المُخيفُ
فارحمِ الآنَ ، تحت دُجيتكَ السوداءِ ،
قلباً غامتْ عليه الحُتوفُ
لهفتا يا ظلامُ ، لن يَطلعَ الفجرُ
ولن يَبسِمِ الفؤادُ اللهيفُ
لهفتا يا ظلامُ ،
لهفةَ روحٍ لم يُمتّعْ شبابُهُ المَشغوفُ

يا فؤادي الشريدَ ودّعْ أمانيكَ
فلن نلمحَ الصباحَ الجميلا
أنتَ يا من قضيتَ عمرَكَ مفتوناً
تُناجي الرُبى وتَشدو الحُقولا
واسترحْ، أيها الخفوقُ، كفى حزناً
كفانا تَضَرُّعاً وذهولا
لا يَرُعْك الرَدى
وحسبُكَ ان تدْركَ ، يا قلبُ ، سرّهُ المجهولا

فيم تبكي على مُفارقة الدنيا
وقد عِشتَ في حِماها غريبا
إنها ، أيها المعذّبُ ، مأساةٌ
تُثيرُ الأسى وتُبكي القلوبا
تخدعُ الجاهلينَ أوهامُها السودُ
ولا تخدَعُ الذكيّ الأريبا
فاحتقِرْها وسِرْ إلى عالمِ الاموات
يا قلبيَ الرقيقَ طَروبا

يا عيونَ النجومِ ، يا وَرَقَ الصَفْصَافِ
يا فِتْنَةَ السكونِ ، وَدَاعاً !
لن أغنّيكِ ، بعد ليليَ هذا ،
آنَ أن يَنْشُرَ الزمانُ الشِراعا
عَبثاً يا حياةُ دفعيَ للموجِ
فلن أستطيعَ بعدُ دفاعا
وغداً سوف يطمُرُ الثلجُ أشلائي
وتمضي بها الرياحُ سِرَاعا

يا بحارَ الفناءِ في العالمِ المجهولِ
رِفْقاً بزورقي المَكْدودِ
واحشُدي حولَهُ عرائسَكِ الحُوْرَ
لعليّ أسلو جمالَ الوجودِ
فأنا ، يا بحارُ ، شاعرةُ الأحلامِ
ضمّختُ بالفُتونِ نشيدي
وتغنّيتُ بالحياة ولكنْ
لم تَبَرَّ الحياةُ لي بالوعودِ

أيُّها الليلُ ، آنَ أن يُطفىءَ الموتُ
شعاعَ الطُموحِ في مقلتيّا
لن تنالَ الآهاتُ من خافقِ الموتِ
ولن تُصْغي الحياةُ إليّا
فوَدَاعاً من قلبِ عاشقةِ الليلِ وداعاً
وأنتَ ، يا موتُ ، هيّا
هكذا تذبلُ الحياةُ
ويخبو لحنُ أحزانها على شفتيّا

١٥ - ٦ - ١٩٤٥

السَّفَر

أنا وحدي فوق صَدْر البحر يازورقُ فارجعْ
عبثـاً أنتظرُ الآنَ فنجمي ليس يطـلعْ
هبَّتِ الرِّيحُ على البحر الجُنونيِّ المُرَوِّعْ
فلْتَعُدْ للشاطىء الساجي بقلبي المُتَضَرِّعْ

عُدْ الى الشاطىء ، عدْ ، ما عاد يحلو لي البقاءُ
ذهبَ البحرُ بأصحـابي الى حيثُ الضيـاءُ
أنا وحدي ، أيهـا الملاّحُ ، حُزْنٌ وبُكَاءُ
يَرْجِعُ الزورقُ بي وحدي إذا جاءَ المَسَاءُ

ذهبوا للشاطىءِ المسحورِ إذ عُدتُ لوحدي
ذهبوا إلا أنا ، عُـدتُ بأحزاني وسُهْدي
لم أُصِبْ في رحلتي إلا صَبَاباتي وجُهْدي
فليكنْ ، يا بحرُ ، هذا ، بالمُنى ، آخرَ عهدي

كيف يا بحرُ توارى الركْبُ خلفَ الجُزُرِ ؟
كيف يَذْوي في فؤادي الصبّ حُلْمُ السَّفَرِ ؟
عزّ يا بحْرُ على موجِـكَ بُرْءُ الصّدَرِ
فلأعُـدْ ، لا رحمةَ الآنَ بقلب القَدَرِ

فلأعُـدْ للساحلِ المظْلم قلبـاً مُستَطاراً
أدْفِنُ الحُلْمَ وأحيي زهرةً وسْطَ الصّحَارى
أبـداً أروي أناشيـدي بأحزانِ الحَيَارى
أبـداً أحلُمُ بالفَجْرِ فلا ألْقَى النّهارا

أيها الزّورقُ عدْ بي ، لم يَعدْ ثمّةَ حُلْم
قد مَضى الرّكْبُ ولن يُشرقَ في أُفقيَ نَجْمُ
مــا الذي أرجو ومن حولي المَسَاءُ المُدْلهمُّ
والأعاصيرُ ، وأشباحُ الدّيَاجي ، والخِضَمُّ ؟

أيها الشّاطىءُ ، يا مَنبَعَ أحلامي ، وَدَاعـا
سئمَ الِجدافُ في كفيّ دَفعـاً وصِراعـا
كيف ألقاكَ وقـــد مزّقتِ الريحُ الشّراعا
ورجائي فيكَ بَينَ المَوْج يا شاطىءُ ضاعا

فلأعُدْ ، لا سَفرَ اليومَ الى الأفقِ الجميلِ
لن أرى الشاطىءَ ، لن أحلُمَ في ظلِّ النخيلِ
وغــداً رحلتيَ الكبرى الى وادي الأفولِ
آهِ فلأرحلْ اليـــه ، فلقـد حـان رحيلي

فوَدَاعاً أيتهـــا الركبُ وَدَاعاً يا حيـــاة
آنَ أنْ يُطفىءَ أفراحي وأحزاني المَمات
آنَ أن تهجُرَ قيثاري وعودي النَغَــمات
فسلامٌ أيُّها الموتُ ، ســـلامٌ يا رُفَاتْ

٣٠ ـ ٧ ـ ١٩٤٥

مرثية غريق

أيّها النَهْرُ لقد جـاء المساءُ
ومَشَى الصمتُ على الموجِ الوديـعْ
وخبا في الأفُـقِ الحالي الضيـاءُ
وتلاشَى وقْـعُ أقـدامِ القطيـعْ

سكنَ الكونُ سوى المَوْجِ المُدَوّي
بأساطيرِ العُصورِ الخاليـاتْ
لم يَزَلْ يشكو المقـاديرَ ويَرْوي
ابداً للكونِ أسرارَ الحيـاةْ

إيهِ يا ضِفَّةُ ما ذاكَ الخيالُ ؟
فوق صدْرِ الموجِ ، تحت الظُلُماتِ
أإلهٌ قد تصبَّاهُ الجمالُ ؟
أم غريقٌ عزَّهُ حَبْلُ النجاةِ ؟

حدِّثيني ، ما أرَى خلفَ السِّياجِ ؟
فهو يا ضِفَّةُ في الليلِ مُريبُ
ما الذي ألمحُ في هذي الدَّياجي ؟
ما تراهُ ذلكَ الشيءُ الغريبُ ؟

هيكلٌ يغطُسُ حيناً ثمّ يطفو
تائهاً تحتَ دُجى الليلِ الحزينْ
بَشَرٌ هذا ترى ؟ أم هو طيفُ ؟
ليتَ شِعْري ، يادياجي ، ما يكونْ؟

آهِ يا شاعرتي ، هـذا غريق
فاحزني للجَسَدِ البالي المُمَزَّقْ
راقداً ، تحتَ الدياجي ، لا يُفيقُ
والسَّنا من حَوْلِهِ جَفْنٌ مؤرَّقْ

يا لمَيْتٍ لم يودِّعْهُ قريب
فهو في النَهْرِ وحيدٌ مُتعَبُ
ما بَكَى مَصْرَعَهُ إلاّ غريبُ
هو قلبي ، ذلكَ المكتئبُ

يا رياحَ الليل رِفْقاً بالرُفاتِ
واهدأي ، لا تُقلقي جسْمَ الغريقِ
حسبُهُ ما مزّقتْ أيدي الحياةِ
فليكُنْ منكِ له قلبُ صديقِ

ولْتكنْ ، يا نهرُ ، أمواجُكَ حضنا
يتلقّــاهُ وقلبــاً مُشفِقــا
ولْتكنْ ، يا نجمُ ، أضواءُك عَينْـا
تسكُبُ الدمْـعَ على من غَرِقا

آهِ يا قيثارتي ، أيُّ المــآسي !
قد كرِهْتُ الليلَ أضواءً وظـلاّ
أيها الصيّادُ ، قفْ ! ألقِ المراسي
إنّ تحتَ الليلِ جسْماً مُضْمَحِلاّ

هوذا ، يا أيُّها الصيّــادُ ، جسْما
خامدَ الأنفاسِ في حضْنِ الميــاهْ
وعيُونا مُلئِتْ رُعْبــاً وهَمّــا
لم يَزَلْ يملأهـــا حُبُّ الحياهْ

أيّها الصيّادُ ، قِفْ بالزورقِ ،
وانتَشِلْ هذا الغريقَ البائسا
خُذْهُ للشاطىء وادفِنْ ما بَقِي
منه في القَرْيةِ وارجِعْ يائسا

ما الذي تصطادُ في بحْرِ الزّمَنْ
وغداً يصطادُكَ الدهرُ العتيْ
نحن يا صيّادُ أبناءُ الشّجَنْ
حتفُ مَحْيانا الشَقاءُ الأبديْ

كلُّ يومٍ بينَ أيدينا غريقُ
وغداً نحنُ جميعاً مُغرَقونا
عالَمٌ حفَّ بهِ الموتُ المُحيقُ
وتَباكَى في حِماهُ البائسونا

ضاقَ يا صيّــادُ في عَيْني الوجودُ
يا لَكَوْنٍ سِرُّهُ لا يَنْجــلي
كلُّ ما فيـــهِ الى القَبْرِ يقودُ
ما الذي يَبْقَى لنـــا من أمَلٍ ؟

١٠-٧-١٩٤٥

على حافة الهوّة

جئتُكِ ، يا هوّةُ ، تحتَ الدُجى
لعلّني ألقى لَديكِ الخَلاصْ
لم يبقَ لي في الأرضِ ما يُرتجى
ولم يَعُدْ لي من رحيلي مَناصْ

جئتُكِ حَيرَى في ظلام الدُجَى
يدفعُ أقدامي جُنونُ الألَمْ
جئتُ وروحي فزَعٌ صارخٌ
باسْمِ إلهِ الصمْتِ ، باسم العَدَمْ

اليــكِ جسْمي ، كفّني بالشّذَى
أشــلاءَهُ الغضّــةَ واسْقيهِ
ألقِي عليهِ باقــةً حُلْوةً
من زَهْرِ أكتوبَرَ ، ضُمّيــهِ

وإن يكنْ تحتَ الدُجَى بلبــلٌ
فاستحلفيهِ أن يَصوغَ الرّثاءْ
وإن تَسَاقَى الزهْرُ عِطْرَ النّدَى
فقطرةٌ منــه لجسمي ارتواءْ

أَلليلُ يدري ، ها أنا لم أزَلْ
بينَ جُنونينِ ، ونفسي انفجــارْ
أريــد ان أحْيَى ... ولكنّني
أحِسُّ بالــثورة والإحتقــارْ

هيّا الى الموتِ ، الى صَمْتِـــهِ
فيمَ أخافُ الآنَ ؟ فـيمَ الألمْ ؟
عمّا قليـــلٍ تنتهي قَسْوتي
على حيـــاتي ، ويضيجُ النَـــدَمْ

عمّا قليـــلٍ يتصبّى الدُجَى
قلبي ، بما في صَمْتِـــهِ من حياةْ
عمّا قليـــلٍ يَحتويـــني الأسى
على وَداعِ الحـــبِّ والذِكرياتْ

ها أنا في جُبْـــنيَ ، في موقفي
يخْفِقُ قلـــبي بالشَذَى باللَهَبْ
تَرَدُّدي يصرُخُ بي إرجعـــي
للشِعْرِ ، للأحلامِ ، فيمَ الهَرَبْ ؟

وخلَّفَ نفسي هَمسَةٌ كالصَّدَى
يكادُ يُفنيها النِّداءُ الجديدْ
تهتفُ بي : هيَّا فكفُّ الرَّدَى
أحنَى على جُرحِ الحياةِ المُبيدْ

وبين صَوْتَيْ قلبيَ المُزْدَرَى
وروحيَ العاشقِ ضاعَ القرارْ
ومرَّتِ الساعاتُ ثم انطوتْ
ولم أزلْ في حَيْرةٍ وانتظارْ

وعُدْتُ للمَعْبدِ ، لا جثَّةً
محمولةً بل جَسَداً ماشيا
أسخَرُ من نفسيَ مما جرَى
وأزدري إحساسيَ الباقيا

٣٠-٧-١٩٤٥

سياط وأصداء

« كان على أرض الشارع المبلـلة جسد
حصان ، وكانت السياط ترتفع ثم
تهوي فلا تسقط الا على جـرح »

ما زلتُ أذكُرُ كلَّ شيءٍ من صباحي الضائعِ
ألراقدُ الدامي المجـرَّحُ فوق أرضِ الشارعِ
وصَدَى السياطِ المرهِقاتِ على الجبينِ الضارعِ

.

يا ثورةَ الإحساس في نفسي عـلامَ تَمَزُّقي
ألمي على الجَسَدِ الممزَّقِ بعضُ ضَعْفي الأحمقِ
وغداً سأدفِنُ ما تبقَّى من حنـاني المُرهِقِ

يا ليتني عمياءُ لا أدري بمـــا تَجني الشُرورْ
صمّاءُ لا أُصغي الى وقـــعِ السياطِ على الظهورْ
يا ليتَ قلبي كان صَخراً لا يعـــذّبُهُ الشعورْ

يا ليتني ، مـــاذا تُفـــيدُكِ ، يا حياتي ، ليتني ؟
أحلامُكِ النَضِراتُ باتت في قُنوطِ مُحزنِ
لن يسمَعَ القَدَرُ المدمّرُ فاصْرُخي أو أذْعني

يا نارَ عاطفتي الرقيقـــةِ ، يا غريبةُ في البَشَرْ
وَقعُ السياطِ على الظهورِ أشدُّ من وقعِ القَدَرْ
والحسُّ في هذا الوجودِ جريمـــةٌ لا تُغتَفَرْ

لن تقتلي الشيطانَ في الإنسانِ أو تُحيـي الملاكْ
وغداً ستطويكِ الليـــالي في دياجيرِ الهـــلاكْ
وغداً سيأسُرُكِ الترابُ فـلا شعورَ ولا حَرَاكْ

ما كان أثقلَ عبءَ أحلامي وآلامي وأقسَى !

فامشي بنا نحو الفَنَاءِ لعلّنا نَنْسَى ونُنْسَى

وليُسْدَلِ السِترُ المقدّسُ، حَسْبُنا غمّاً ويأسا

٢٤ – ١٠ – ١٩٤٦

نغماتٌ مرتعشة

عُدْ ، لم يَزَلْ قلـــبي نشيداً حالمـا
يشدو بحبّــكَ لحنُـــهُ المفتون
عُدْ فالكآبــةُ أغرقَتْ بظلامهـــا
روحي ، فليـــلي أدمُعٌ وشُجونُ
عُـــدْ ، لا تَدَعْ نفسي يعذبهـــا الأسى
ويَعَضُّ فيهـــا خافقٌ محزونُ
عُدْ فالحياةُ ـ إذا رجعْتَ ـ أشعّةٌ
ومشاعـــرٌ سِحْريّـــةٌ وفُتُونُ

خطواتُكَ اللاّتي تباعَـدَ رَجعُها
في مسمعي ، تحتَ الظلامِ الشاحبِ
كلماتُكَ اللاتي تلاشَى وَقعُها
وخبَت بعيداً ، في السُكونِ الراعبِ
بَسَماتُكَ اللاتي خبَت وَمَضاتُها
في مُقلَتيّ ، مع النهارِ الذاهبِ
ذابت جميعاً ، والستائرُ أسدِلت
في مَسرَحِ الأملِ الجميلِ الغاربِ

ذهبَ النهارُ بشاعري ، بنشيدِهِ
وبَقيتُ في غَسَقِ الظلامِ القاتمِ
أرنو ولا شيءٌ يروقُ لناظري
وأصيخُ ، أين مَلاحني ومَلاحمي ؟
عُد ، عد الى روحي الغريبِ ، فأدمعي
عصفت بأفراحي وقلبي الساهمِ
عُد يا نشيدي الشاعريّ لمسمعي
ماذا يعوّضُ عن صداكَ الحالمِ ؟

حبّي الإلهيُّ النقـــيُّ ظلمتَـــه
ووفاءُ روحي الشاعريّ العابـــدِ
قلبي الرقيـــقُ أساتَ فهْمَ حنينِـــه
ونشيدُ أحـــلامي وروحُ قصائـــدي
لم أدْرِ مـــاذا كان ، الا رَعْشَةٌ
في روحيَ الولهى وقلـــبي الشـــاردِ
وخلا المكانُ وُعـــدْتُ أسألُ وحشتي
عن طَيْفكَ الناسي وُحبّي الخـــالدِ

ما زلتُ منذُ ذَهَبْتَ حَيْرتي في الدُجى
شهِدَ الأسَى أنيّ لزمتُ مكانيـــا
ما زال روحي راعشاً متمزقـــاً
يستنطـــقُ السرَّ الغريبَ الخافيـــا
وهمي يصوّرُ لي خُطَاكَ ووقْعَهـــا
فاذا أصَخْتُ صَحَوْتُ من أحلاميا
لا شيءَ غيرُ الرّيحِ تَعْصِفُ في الدُجَى
لا شيءَ غير تَنَهُّدي وبكائيا

١ – ١١ – ١٩٤٦

المقبرة الغريقة

« من ذكريات الفيضان المخيف الذي ألم
ببغداد سنة ١٩٤٦ ، هذه القصيدة تسجل
فيها الشاعرة أثر سماعها بقصة مقبرة غمرتها
مياه النهر المتوحش في مساء عاصف »

في ظُلْمة الليلِ المُخيفِ الرهيبْ
وتحتَ هولِ العاصفِ الأهوجِ
قَبْرٌ على التلِّ وحيدٌ غريبْ
رانتْ عليه ظُلْمَةُ العَوْسجِ

قبرٌ وحيدٌ لم تَنَلْهُ المياهْ
مُعْتصِمٌ بالقِمّةِ الساخرهْ
كأنّه يرمُقُ أفقَ الحياهْ
مُسْتهزئاً باللُجّةِ الدائرهْ

بالأمسِ قــــد كانَ هُنا عـالَمٌ
يغمـرُهُ الموتُ بأستـــارِهِ
يهفو عليـــه العَـــدَمُ القـاتمُ
في وَجْمـةِ الصَمْتِ وأسرارِه

مقـبرةٌ أودعهـا البائسونْ
أشـــلاءَ أمواتِهُـم الفانيـه
يا جُثثاً ما كفّنتْهـا المَنُونْ
بغيرِ أطبـــاقِ الثّرى العـاريه

هذي الوجوهُ الشاحباتُ الجباهْ
وهـذهِ الأشلاءُ والأعـــينُ
طفَتْ حَيارَى فوقَ وجْهِ المياهْ
وعضّ فيهـــا العَـدَمُ المُحْزِنُ

يا نَهْرُ لا تَقْسُ على الميِّتين
حسبُكَ ما سبَّبتَهُ من شقاء
حسبُكَ ما شرَّدتَ من بائسين
وارفُقْ بسُكَّانِ الثَّرَى الأبرياء

رَوَّعْتَ صمتَ الأنفُسِ الراقده
في وَجْمةِ الموتِ وَصمتِ القبور
يا رحمةً بالجُثَثِ البارده
وليَكُ في موجكَ بعضُ الشعور

في كلِّ رُكْنٍ من دُجَى المَقْبره
تَسْبَحُ أجسادٌ وتطفو عِظام
والرِّيحُ في صَيْحاتها المُنْكَره
والليلُ ما زالَ رهيبَ الظلام

يا لَلْمساكينِ ، أحتّى المماتْ
تَلْحَقُهم لَعْنةُ أيّامِهمْ ؟
ماذا جَنَوْا من مُبْهِجاتِ الحياة
تُرَى وما ألوانُ أحلامِهمْ ؟

حتّى الرُقادُ الهادىءُ الآمنُ
يأباهُ إيّاهُ قَلْبُ السنينْ
يشهَدُ هذا المنظَرُ الساكنُ
أيُّ سُهادٍ ، أيُّ ليلٍ حزينْ

يا ضَجّةَ الإعصارِ لا تملأي
آفاقَ هذا العالمِ المُشتكي
وأنتِ يا أمواجُ لا تهْزأي
بذلكَ الطافي على وَجْهكِ

لم يُبْقِ منه الدودُ شيئاً يُرَى
ولم يَذَرْ منـــه الرَدَى باقيا
هذا الرُفَاتُ الـكالحُ المُزْدَرى
قــد كان بالأمس فتىً لاهيـــا

يَنسِجُ تحتَ الليلِ ثوبَ الضياءْ
وينشُرُ الحبَّ على العـــالَمِ
جذلانَ لا يعرفُ معنى الفنـــاءْ
مُستغرِقاً في نشوةِ الحالمِ

أهكــذا تَفْنَى أغـــاريدُنا
ويهزأُ الموتُ بأزهـــارها
وتملأُ الدنيـــا أناشيدُنا
يوماً ، ونَنْطوي تحت أحجارها

ما أفظعَ المبــدأ والمنتهى
مــا أعمقَ الحُزنَ الذي نحملُ
ترفعُنا الأحلامُ فوقَ السُّهَا
وتهــدمُ الأيّامُ مــا نأملُ

وهــذه المقــبرةُ المظْلِمه
نهـايةُ المَسْعَى ، فيا لَلْشقاءْ
أبعد هــذي الجَنّةِ المُلْهِمــه
نسقطُ، فوقَ الشوكِ، صَرْعى الفناءْ

بكيتُ لــلأمواتِ طولَ المساءْ
وصُغْتُ من دمعي النشيدَ الحزينْ
وفي غــدٍ أرقُــدُ تحتَ السَّمَاءْ
قبراً سيبكي عنــدَهُ العــابرونْ

قبرٌ ، على التلِّ ، وحيدٌ غريبْ
رانتْ عليـــه ظُـلْـةُ العَوْسجِ
في ظُلْمة الليلِ العميقِ الرهيبْ
وتحت هولِ العـــاصِفِ الأهوجِ

١٣-٥-١٩٤٦

عَودة الغريب

قلبيَ الذابلُ الحزينُ الذي ماتَ
وذابتْ أفراحُهُ ومُناهُ
قلبيَ الشاردُ ، المعذّبُ بالأحلامِ
ما بينَ دمعِهِ وأساهُ
مالَهُ الآنَ خافقاً بندَى الحبّ
يُغنّي ، تحتَ النجومِ ، هوَاهُ
ويصوغُ المُنَى ويَرْجِعُ للشاطىءِ
جَذْلانَ مُرْسِلاً نجواهُ

في غِمارِ الماضي دفنتُ دُموعي
وتبسّمتُ للغَدِ المِمْراحِ
ظمأي لم يَعُدْ يعذّبُ روحي ،
وشرودي تحت الدُجَى والرِّياحِ
ذهبَ البحرُ ، لم يَعُدْ ماؤه المِلْحُ
يُدوّي على مَسِيلِ جِراحي
ها أنا عندَ منبعِ شاعريّ الماءِ ، صافٍ
هامتْ به أقداحي

ها أنا الآنَ زورقٌ حالمُ المجدافِ
يَرْسو على رمالِ الضِفافِ
قلبيَ الشاعريُّ ملاحُهُ الباسمُ
يشدو سرَّ الوجودِ الخافي
شدَّ ما عذّبتْ أغانيَهُ الغُرْبةُ ،
واشتاقَ فتنةَ الصَفْصافِ
أبداً في عرض المياهِ ينادي البحرَ ،
يا بحرُ طال فيكَ طوّافي

أيّها الطائفُ الغريبُ ، لقد عُدْتَ ،
وهذي مفاتنُ الآجامِ
هي ذي الضِفّةُ الحبيبَةُ ، يا ملاّحُ ،
هذي شواهقُ الآكامِ
إنها جنّةُ الحياةِ ،
تلاقتْ عندها الذكرياتُ بالأحلامِ
فاهبِطِ الآنَ ، وانسَ أشباحَكَ السودَ
وذكرى الماضي الحزينِ الدامي

يا غريبَ الأحلامِ
إمسَحْ بقايا الأمسِ والذكرياتِ والأحزانِ
أصبح الأمسُ صَرْخةً في حِمَى الماضي
طوتْـها ستائرُ النسيانِ
كلُّ أحزانِـهِ العميقاتِ
عادتْ لفظةً ضمّها سكونُ الزّمَانِ
أطفأتْـها الأيّامُ فهي ظلامٌ
ولهيبٌ خابٍ وطيفٌ فانِ

لا تُثِرْهُ ، دعْهُ يَنَمْ أبدَ الدهْرِ
وعشْ أنتَ ضاحكَ الأهواءِ
أيها الميّتُ الذي نبضَتْ فيه معاني الحياةِ
بعد الفناءِ
أيّها الظامىءُ الذي أبصَرَ النبعَ قريباً ،
بعد الصّدَى والشقاءِ
إملأ الكأسَ ،
آن للظمأ المحْرِقِ أن يرتوي بشهدِ الرّجَاءِ

ذلكَ الماردُ الحقيرُ
ثَوَى في ظُلُماتِ الأمسِ البعيدِ وغارا
لن تَراهُ الأمواجُ في البحر ، بعدَ الآنِ ،
لن يملأ النجومَ احتقارا
لن يُحيلَ الأحلامَ فيك دموعا
ويُعيدَ الأنغامَ هَوْلاً ونارا
انّه الآنَ مُغْرَقٌ في حِمَى الموجِ
فلا تَخْشَ حقدَهُ الجبّارا

والحياةُ التي تلقتْكَ بالزَهْرِ

ترنتمْ بها تلالاً وعُشْبا

هَبْ لها يا ملاّحُ قلباً من النُور

وروحاً ، كالشعر والحبّ ، عَذْبا

هَبْ لها ما ملكْتَ ، شوقاً وأشعارا

وعشْ للجَمال روحاً وقلبا

صُغْ لها البحْرَ كلَّهُ في نشيدٍ

أرضعتْهُ النجومُ ضوءاً وحُبّا

عاد ذاك الغريبُ ، يا معبدَ الحبّ ،

فمُدّ الجَنَاحَ فوقَ أساهُ

إن يكنْ ضلّ قلبُهُ أمسِ في البحْرِ ،

فقد كفّرَتْ دموعُ صِباهُ

علّمَتْهُ عواصفُ الليلِ حُبّ الفجرِ ،

فلْتَلْمحِ السّنَا عيناهُ

ولْتَضِعْ في الماضي البعيدِ المجاديفُ ،

وتلك الرّياحُ والأمواهُ

أنسِهِ حبّهُ الذي ماتَ ،
وامنح قلبَهُ الشاعريَّ حُلْماً جديدا
حَسْبُهُ ما أشقَيْتَهُ أمسِ بالذكرى
فهَبْهُ الحياةَ ظِلاً رغيدا
بمعانيكَ قرّبِ النَجْمَ والسُحْبَ لعينيهِ
والصِبا والخُلودا
يا شبابَ الحياةِ ، يا فرحةَ الدُنْيا ،
ويا بابَ نُبْلِها المفقودا

١٤ ـ ١١ ـ ١٩٤٦

الغروب

هبط الليلُ وما زالَ مكاني
عند شطّ النهرِ ، في الصمتِ العميقِ
شردتْ روحي ، وغابتْ عن عِيَاني
صُوَرُ الحاضرِ والماضي السحيقِ
وأمّحَى في خاطري ذكْرُ الزّمانِ
وتلاشَتْ ذِكَرُ الدّهرِ المُحيقِ
ليسَ إلا الحُزْنُ يمشي في كياني
وأنا في ظُلْمة الليلِ الصديقِ

غَرِقَ الضوءُ وراءَ الأفُقِ
وخلا العالَمُ من لون الضياءْ
ليس الاّ رَمَقٌ في الشَفَقِ
حائلٌ قد كاد يمحوهُ الفَنَاءْ
وأنا تِمْثالُ حُزْنٍ مُحْرِقِ
وشَقَاءٌ مُطْبِقٌ فوقَ شَقَاءْ
أرمُقُ الأفْقَ بطَرْف مُغْرَقِ
تائهٍ يَطْوي دياجيرَ الفَضَاءْ

رفَّ حولي الليلُ والصمْتُ الكئيبُ
وتمشّتْ في كِياني الرَعَشاتُ
أيُّ معنىً هاجَ في نفسي الغُروبُ ؟
أجفلتْ في جَسَدي منه الحياةُ
ومَرَى في مسمعي هَمْسٌ غريبُ
كلُّهُ هولٌ ورُعْبٌ وشَكَاةُ
واعتراني خاطرٌ مُشْجٍ رهيبُ
وتَجَلّى لخيالاتي المماتُ

ها أنا وحـــدي تـُنَاجيني غـُمومي
وكـآباتي وأشبــاحُ الفَنَـــاءِ
كلُّ ما حولي مـُثـيـرٌ للوُجومِ
مَصْرَعُ الشمسِ وأحزانُ المسـاءِ
عبثاً أطرُدُ عن نفسي هـُمومي
عبثاً أرجو شـُعاعاً من رَجَـــاءِ
غـَرِقـَت أحلامُ قلبي في الغيومِ
وتلاشت مثل أحـــلامِ الضياءِ

أقـْفَرَ العــالَمُ حولي لا نشيدُ
من صبيٍّ أو هـُتَـــافٌ أو حفيفْ
وخـــلا شاطئيَ الساجي المديدُ
ومَشَت في الجـوِّ أحزانُ الخريفْ
أنا والأمــواجُ واليأسُ الشديدُ
والجـدارُ الشطُّ والظـلُّ الوريفْ
وحـوالَيَّ ظـــلامٌ وركـودُ
ألقيَا الحُزْنَ على حِسِّي الرهيفْ

من بعيـدٍ أبصرُ الراعي الحـزينْ
يُرْجِع الأغنـامَ في صمْتِ الغروبْ
مُطْرِقاً أتعَبهُ ركْبُ السنينْ
فقضاهـا في نحـولٍ وشُحوبْ
هو والأغنـامُ حُزنٌ وسكونْ
وخُطىً في مَسمعِ الليلِ الرهيبِ
وأنا أرمقُهمْ غَرْقى الجفُونْ
تحتَ أحلامِ شبابي وكروبي

وبعيـداً في الفَضـاءِ المدْلهمّ
خَفْقَةٌ من جُنْحِ طَيْرٍ عابرِ
فـاجأتْهُ ظُلْمةُ الليلِ المُلِمّ
وجبالٌ من سَحَابٍ مـاطرِ
فسَرَى بينَ دياجـيرَ وغـيمِ
كخيالٍ في فـؤادِ الشاعـرِ
لحظـةً ، ثم توارَى في الخِضَمّ
بين أمواجِ الظـلامِ الغـامرِ

آهِ ما أرهبَــهُ الآنَ سكــونا
لا أعي فيــهِ سوى دقـّـاتِ قلبي
صَمَتَ الكونُ ونام المُتعَبــونا
وهُوَ ما زالَ صَدَى حُزنٍ وحُبّْ
نَظَــراتي لم تَزَلْ حُلُماً حزينــا
وخيــالاتُ مسائي لم تَغُــدْ بي
طفقت تصعَــدُ بي أُفُقَ السنينــا
وترودُ الكونَ من شَرْقٍ لغَــرْبِ

ونُبَاحُ الكلبِ في الحَقْلِ البعيــدْ
رفّ في سَمْعي ضئيــلاً مُجهَــدا
مُوحشاً في ظُلْمةِ الليــلِ الوليــدْ
غامضَ الوَقْعِ ، غريبــاً كالصَدَى
كلُّ صَوْتٍ في الدُجَى رُعْبٌ جديــدْ
عندَ مَنْ قــد كان مثــلي مُفْرَدا
ذا فؤادٍ مُرْهَــفِ الحسّ شَريــدْ
دَفَــنَ الأمسَ ولم يَرْجُ الغــدا

ومياهُ النَهْر تجري في شُحوبْ
تحتَ أكداسِ الغُيومِ الجاثماتْ
وصَدَى طاحونةِ القَمْحِ الغريبْ
يُكْتَبُ النفسَ بأشجَى النَغَماتْ
هكذا مرَّ على روحي الغُروبْ
غامضَ الظلِّ حزينَ الخُطُواتْ
فوَدَاعاً أيُها الجُرْفُ الكئيبُ
وَوَداعاً يا غِمارَ الظُلُماتْ
١٩٤٦-١٢-١

عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ يا طاويَ أحزانِ القلوبِ
أنظُرِ الآنَ فهذا شَبَحٌ بادي الشُحوبِ
جاء يَسْعَى ، تحتَ أستارِكَ ، كالطيفِ الغريب
حاملاً في كفه العودَ يُغنّي للغُيوبِ
ليس يَعْنيهِ سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ

هو ، يا ليلُ ، فتاةٌ شَهِدَ الوادي سُرَاها
أقبلَ الليلُ عليها فأفاقت مُقْلتاها
ومَضَتْ تستقبلُ الوادي بألحانِ أساها
ليتَ آفاقَكَ تدري ما تُغنّي شَفَتاها
آهِ يا ليلُ ويا ليتَكَ تدري ما مُنَاها

جَنّها الليلُ فأغرتها الدّيَاجي والسكونُ
وتَصَبّاها جمالُ الصَمْتِ ، والصَمْتُ فتُونُ
فنَضَتْ بُرْدَ نهارٍ لفّ مَسْراهُ الحنينُ
وتَمرّتْ طيفاً حزيناً فاذا الكونُ حزينُ
فمن العودِ نشيجٌ ومن الليلِ أنينُ

إيهِ يا عاشقةَ الليلِ وواديهِ الأغَنّ
هوذا الليلُ صَدَى وحيٍ ورؤيا مُتَمَنّي
تَضْحكُ الدُنْيا وما أنتِ سوى آهةِ حُزْنِ
فخُذي العودَ عن العُشْبِ وضُمّيهِ وغنّي
وصِفي ما في المساءِ الحُلْوِ من سِحْرٍ وفنّ

ما الذي، شاعرةَ الحَيْرةِ، يُغري بالسماءِ؟
أهي أحلامُ الصَّبايا ام خيالُ الشعراءِ ؟
أم هو الإغرامُ بالمجهولِ أم ليلُ الشقاءِ ؟
أم ترى الآفاقُ تَستهويكِ أم سِحرُ الضياءِ؟
عجباً شاعرةَ الصمْتِ وقيثارَ المساءِ

طيفُكِ الساري شحوبٌ وجلالٌ وغموضُ
لم يَزَلْ يَسْري خيالاً لَفّه الليلُ العريضُ
فهو يا عاشقةَ الظُلْمةِ أسرارٌ تَفيضُ
آه يا شاعرتي لن يُرْحَمَ القلبُ المَهِيضُ
فارجِعي لا تَسْألي البَرْقَ فما يدري الوميضُ

عَجَباً ، شاعرةَ الحَيْرةِ ، ما سرُّ الذُهُولِ؟
ما الذي ساقكِ طيفاً حالماً تحتَ النخيلِ؟
مُسْنَدَ الرأسِ الى الكفّينِ في الظلِّ الظليلِ
مُغْرَقاً في الفكر والأحزانِ والصمتِ الطويلِ
ذاهلاً عن فتنةِ الظُلْمة في الحقلِ الجميلِ

أنصتي هذا صُراخُ الرعْدِ ، هذي العاصفاتُ
فارجعي لن تُدْرِكي سرّاً طوتْهُ الكائناتُ
قد جَهِلْنــاهُ وضنّتْ بخفــاياهُ الحياةُ
ليس يَدْري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةُ
فارحمي قلبَكِ ، لن تَنْطِقُ هذي الظُلُماتُ

٤ – ٤ ـ ١٩٤٥

في وادي الحيـــاة

عُدْ بيَ يا زورقي الـكليلا   فلن نـرَى الشاطىءَ الجميلا
عُدْ بيْ إلى مَعْبدي فإنـّي   سئمتُ يا زورقي الرحيـلا
وضِقتُ بالموج أيّ ضيقٍ   وما شَفَى البحرُ لي غليلا
إلامَ يا زورقي المُعَنّى   نرجو الى الشاطىء الوصولا ؟
والموجُ من حولِنـا جبالٌ   سدّتْ على خطونا السبيلا
والأفقُ من حولِنا غيومٌ   لا نجمَ فيه لنا دليـلا
كم زورقٍ قبلنـا تولّى   ولم يَزَلْ سـادراً جَهولا
فعد الى معبـدي بقلبي   وحسبُ أيامنـا ذُهولا

حسبُكَ يا زورقي مَسيراً لن يُخْدَعَ القلبُ بالسَّرابِ
وارجِعْ، كما جئتَ، غيرَ دارِ قد حَلَّكَ الجوُّ بالسَّحابِ
ومَلَّ مِجْدافُكَ المُعَنَّى تقلُّبَ الموجِ والعُبابِ
ولم يَزَلْ معبدي بعيداً خلفَ الدياجيرِ والضَّبابِ
يَشُوقُني الصمتُ في حِمَاهُ وفتنةُ الأيكِ والروابي
عُدْ بيَ يا زورقي إليهِ قد حانَ، يا زورقي، إيابي
ما كفكفَ البحرُ من دموعي ولا جَلا عنّيَ اكتآبي
ففيمَ في موجِهِ اضطرابي ؟ وأينَ، يا زورقي، رِغَابي ؟

تائهةٌ، والحياةُ بحرٌ شاطئُهُ مُبْعِدٌ سحيق
تائهةٌ والظلامُ داجٍ والصمتُ تحتَ الدُّجَى عميق
يا زورقي آهِ لو رَجَعْنا من قبلِ أن يخبوَ البريقُ
أنظُرْ حوالَيْكَ، أيُّ نَوْءٍ تجمَّدُ من هولِهِ العُروقُ
البحرُ، يا زورقي، جُنونٌ وموجُهُ ثائرٌ دَفوقُ
وكلَّ يومٍ له صريعٌ في هَجْعَةِ الموتِ لا يُفيقُ
وأنتَ في الموجِ والدياجي يا زورقي في غدٍ غريقُ
فعُدْ الى الأمسِ، عُدْ إليه قد شاقني أمسيَ الوريقُ

ماذا وراء الحياةِ ؟ ماذا ؟ أيُّ غُموضٍ ؟ وأيُّ سِرٍّ ؟
وفيمَ جئنا ؟ وكيف نمضي ؟ يا زورقي ، قُلْ ، لأيِّ بحرٍ ؟
يــــدفعُكَ الموجُ كلَّ يومٍ أينَ ترى آخِرُ المَقَرِّ ؟
يا زورقي طــال بي ذُهولي وأغرقَ الوهمُ جوَّ عُمْري
أمْري كما ترسُــمُ المقاديــــرُ لي الى حيثُ لستُ أدري
شريدةٌ في دُجَى حيــاتي سادرةٌ في غُـموضِ دَهْري
فخافقٌ شــاعرٌ ، وروحٌ قال لها الدَهْرُ لا تَقَرِّي
وناطَـها بالذُرَى تُغنـّي وتنظِمُ الكونَ بيتَ شِعْرِ

١٢-٦-١٩٤٥

أشواق وأحزان

أينَ منّي حرارةُ الأمسِ
والحاضرُ يمشي بين الأسى والخمودِ ؟
أسفاً للماضي الإلهيّ ،
هل ماتتْ أغانيهِ في فؤادي الوحيدِ ؟
آه يا شاعري ، لماذا تهاويْتَ بعيداً ،
وراءَ أمسي البعيدِ ؟
وأنا لم أزلْ صلاةً لعينَيْكَ
وإعصارَ لَهْفةٍ وشُرودِ

آهِ هل غابَ عن ظلام حياتي
كلُّ ما كان نَشْوةً وفُتُونا ؟
كيف ضاعَ الحبُّ الإلهيُّ يا طائريَ الحُرّ
فانفجرتَ ظُنونا ؟
وأنا لم أزَلْ فؤاداً على الشَوقِ
يُداري غرامَهُ المدفونا
ليتني كنتُ بُحْتُ ، يا حُلُمَ الروحِ ،
وأعلنتُ حُبّيَ المكنونا

كيف مرّتْ أيّامُنا ؟ كيف مرّتْ
بين فَكّ الأشواقِ والأحزانِ ؟
ملءَ قلبي وقلبكَ الحبُّ والشوقُ
ولكنْ نلوذُ بالكِتْمانِ
كلّما حدّثتْكَ عَيْناي عن حُبّي
أُعاقبْ عينيَّ بالحِرْمانِ
كيفَ ، يا شاعري ، كَتَمْنا
ولم يَغْضِ كيوبيدَ ، قبلنا ، عاشقانِ ؟

كيف ضاعتْ عواطفي ؟
كيف أنسَوْكَ غرامي ، وحَيْرتي ، ووَفائي ؟
ملأوا قلبَكَ النبيلَ أباطيلَ
وصاغُوا كواذبَ الأنباءِ
وقضَيْتُ الأيّامَ أذْرِفُ إحساسي دُموعاً
وأستلذُّ شقائي
لا لقاءٌ غيرَ الظُنونِ
ولا فرحةَ غيرَ الخيالِ والأصداءِ

أنتَ أنتَ الذي احتفظتُ بذكراهُ
فلم يَنْسَها فؤادي الوفيُّ
كيف غابتْ عن ذكرياتكَ أحلامي ،
وشوقي ، وحُبّيَ الروحيُّ
شَهِدَ العودُ كيف علّمتُهُ حُبُّكَ مثلي ،
فهو المحبُّ الشقيُّ
شَهِدَ المعبدُ الكئيبُ لحبّي
أنّ حبّي مُخَلّدٌ أبديُّ

يا نشيدي ، متى ستأتيكَ ألحاني
فتُصغي الى هُتافاتِ حبّي ؟
فيمَ أقضي الأيامَ أكتُمُ أشواقي
وقد ضاقَ بالعواطفِ قلبي ؟
أبداً نلتقي فأعرضُ حيرَى ،
ولقلبي الكئيب أشواقُ صَبّ
إنها الكبرياءُ تملكُ الرُوحَ
فيبدو المحبُّ غيرَ مُحبّ

ضاع عُمري الحزينُ في معبد الحزنِ ،
وأذوتهُ لهفتي وشَكاتي
لم يَزَلْ حبّيَ العميقُ عميقاً
لم تَزِدْهُ السنينُ غيرَ ثباتِ
لم أزَلْ تضحكُ النجومُ ، وتبكي ،
وتُغنّي على صَدَى آهاتي
لم أزَلْ في الحياة ورقاءَكَ الحَيرَى
وما زلتَ أنتَ حلمَ حياتي

١٥ ـ ٣ ـ ١٩٤٥

مدينة الحب

في عُمقِ صحراءِ الحياةِ ، هناك فوق لَظَى الرمالْ
حيثُ الرياحُ الداوياتُ ، مدينةٌ بينَ التِلالْ

في قلبها نهرٌ تُحيط به المفاوزُ والصخورْ
وشواطىءٌ لا ظلّ فيها ، لا خمائلَ ، لا عطورْ

الماءُ يبدو وادعاً ووراءه الألمُ العميقْ
أمواجُهُ السُمُّ الزُعافُ وإن بدا حُلْوَ البريقْ

كم زورقٍ خدعتْه جنيّاتُهُ ورسومُهُ
كم حالمٍ أودتْ به أمواجُهُ وسُمومُهُ

والشاطىءُ الشـــاني يلوّحُ بالجمال وبالفتون .
حتى اذا قاربتَهُ أبصرتَ إعصـــارَ المَنُون

لا شيءَ غيرُ الشوكِ والاشلاءِ فوق صُخورهِ
لا صوتَ يُسْمَعُ غيرُ ضجّةِ دودِهِ ونسورهِ

أالليلُ فيه مخـــاوفٌ ووساوسٌ لا تَخْمَدُ
أبـــداً يزلزلُهُ صُراخٌ غامضٌ وتنهـــدُ

يا طارقَ البابِ المروّعِ عُدْ ولا تهبطْ هُنا
هذا الجمـــالُ سيستحيلُ دمـــاً وماءً آسنا

هذي الشواطىءُ ، كلُّ ما فيها أسىً وتحسُّرُ
فحذارِ منها فالسُمومُ مُعَـــدّةٌ والخَنجَرُ

عينـــاكَ لا تسكُبْ بريقهما على ظُلُماتِها
وصِباكَ لا تـــدفِنْ مُناهُ في شقاءِ حياتِها

، وفؤادُكَ الخفّـاقُ صُنْهُ من قـذى آثامها
ماذا رأيتَ من الحيــاةِ لتحتمي بظلامها ؟

عُدْ،عدْ الى لـهَب الصحاري وانجُ من صخب المدينه
لا تُلْـقِ قلبَكَ في اللظى وأصغِ لشاعرةٍ حزينه

١٩-٧-١٩٤٦

إلى عينين حزينتين

عينيَّ ، أيُّ أسىً يرينُ عليكما
ويثيرُ في غسَقِ الدجى دمعيكما ؟

إني أرى خلفَ الجفونِ ضراعةً
تستنطقُ الكونَ العريضَ المبهما

أفقانِ تحت الليلِ ألمحُ فيهما
قطَراتِ ضوءٍ يرتشفنَ الأنجما

ألكونُ مبتسمٌ فأيَّةُ لوعةٍ
يا مقلتيَّ تلوحُ في جفنيكما ؟

مسكينتانِ ، رأيتُما مـــا لا يَرَى
جيلٌ أقام على الضــلال وحَوَّمــا

جَهِلَ الحقــائقَ في الحيــاة ، فلم يُطِقْ
عن زيفهــا هَرَبــاً وعاش مهوَّمــا

مسكينتانِ كتمتُما حُمَمَ الأســى
فــأبى تــأوّهُ خــافقي أنْ تكتما

فاذا الدموعُ غِشاوةٌ رفَّتْ على
جَفْنيكما ، سيلاً سخيناً مُفْعَما

ورأيتما ، خَلَلَ الدُموعِ ، مفاتنَ الـ
ـماضي وطاف الشوقُ في أُفُقيكما

عبثاً تسوغــان التوسّلَ في الدُجى ،
قلبُ القضاء قَضَى بألا تَنْعَما

عبثاً ، فيا عينيّ لا تتضرّعا ،
لا شيءَ يَرْجِعُ بالجَمالِ إليكما

حسبي وحسبُكما الرُضوخُ لما قَضَى
قلبُ الليالي فارضَخا واستسلِما

كم حالمٍ من قَبْلِنا فَقَدَ المُنَى
فَقَضَى الحياةَ لوحدِهِ متجهّما

يرعَى الليالي مانحاً ظُلُماتِها
روحاً مجنّحةً وقلباً مُلهَما

عينيّ ، يا سرّ الطبيعةِ ، حدّثا
ماذا وراءَ الكائناتِ رأيتُما ؟

رفعتْ دياجيرُ الحياةِ سُتورَها
لكما وأبدتْ سرّها المُستَبْهما

هاتا حديثَ المــوت ، هــاتا سرَّهُ
قد آن ، يا عيــنيَّ ، أن تتكلما

ما شاطىءُ الأعرافِ ؟ ما ألوانُــهُ ؟
ما سرُّه الخــافي ؟ صِفاهُ وتَرْجمــا

في صدريَ الخَفـّـاقِ قلبٌ راعشٌ
مــا زالَ صَبّــاً بالمفــاتن مُغْرَمــا

لولاهُ ، يا عيــنيَّ ، مــا غنّيتُــما
بهَوَى الحيــاةِ ولا أصابكما الظّــما

عُــذراً اذا حُمّلتُــما حُزْنَ الدُّنا
لولايَ ، يا عيــنيَّ ، مــا حُمّلتُــما

وكفى فؤادي ، في الحيــاة ، شقاوةً
أنّي جنيتُ ، مــع الحياةِ ، عليكمــا

٢٥ – ٦ ـ ١٩٤٥

خَواطِرِ مسائية

إذا زَحَفَ الليلُ فوق السُهُوبْ
ومرّتْ على الأفْق كفُّ الغيومْ
ولم يَبْقَ غيرُ السكونِ الرهيبْ
ونام الدُجَى تحت جُنْح الوجومْ

ولم يبقَ إلا نُواحُ اليمامْ
وهمسُ السواقي وأنّاتُها
ووقْعُ خُطَى عابرٍ في الظلامْ
تمرُّ وتخفتُ أصواتُها

جلستُ أناجي سكونَ المَسَاءْ
وأرمُقُ لونَ الظلامِ الحزينْ
وأرسلُ أغنيتي في الفضاءْ
وأبكي على كلِّ قلبٍ غبينْ

أصيخُ الى هَمَساتِ النسيمْ
وأسمعُ في الليلِ وقعَ المَطَرْ
وأناتِ قُمْريةٍ في الظلامْ
تُغنّي على البُعْدِ بين الشَجَرْ

وآهاتِ طاحونةٍ ، من بعيدْ
تنوحُ المساءَ وتشكو الكَلالْ
تمرُّ على مسمعي بالنشيدْ
وتفتتأ تصدَحُ خلفَ التلالْ

أصيـــخُ ولا صوتَ غيرُ الأنـين
وأرنو ولا لونَ غـــيرُ الدُجَـــى
غيــومٌ وصمْتٌ وليـــلٌ حزينْ
فــلا عَجَبٌ أن أُحِسَّ الشَجَـــا

رأيــتُ الحيــاةَ كهــذا المساءْ
ظــلامٌ ووحشةُ جـــوٍّ كئيبْ
ويحلُـــمُ أبناؤهــا بالضيــاءْ
وهمْ تحت ليـــلٍ عميـــقٍ رهيبْ

طبيعتُهـــا أبـــداً باكيـه
فصمـــتُ الدُجَى وأنـــينُ الرياحْ
وتنهيـــدةُ النَسَـــمِ الساريـــه
ودمعُ النَـــدَى في عُيونِ الصبـاحْ

وأبصرتُ عند ضفاف الشقاءْ
جموعَ الحَزَانى ورَكْبَ الجياعْ
تُشرّدُهم صَرَخَاتُ القضَاءْ
وما أرسلوا هَمَسَاتِ الوَدَاعْ

وأصغيتُ لكن سمعتُ النشيجْ
يُدوّي صَداهُ على مَسمعي
وراءَ القصورِ وفوقَ المروجْ
فمن يا ترى يتغنّى معي ؟

سأحملُ قيثارتي في غدِ
وأبكي على شَجَن العالمِ
وأرثي لطالعِهِ الأنكدِ
على مسمع الزمن الظالمِ

٢٤ ـ ١١ ـ ١٩٤٥

التماثيل

« هدية الى قائمة الاسماء الغامضة
المنطفئة التي جاءت في سفر التكوين
من كتاب العهد القديم »

قد سئمتُ التفكيرَ يا ليليَ الساجي
وألقيتُ بالكتابِ الحبيبِ
لم تعدْ هذه الصحائفُ توحي لي
بغيرِ الحزنِ العميقِ المُذيبِ
فهيَ صوتُ الآبادِ يحملُهُ الماضي
الى قلبيَ الشَجِيِّ المشبوبِ
فيدوّي ، في عمقِ نفسيَ
صوتُ العَدَمِ المُرّ والفَناءِ الكئيبِ

أسفاً يا حياةُ ! ما هذهِ الأسماءُ ؟
ماذا قد كانَ من أهليها ؟
كيفَ مرّتْ أيّامُهم ، ليتَ شِعْري ؟
أترى أدركوا السّعادةَ فيها ؟
أم ترى لم يكنْ لهم ، من جنّاها ،
غيرَ كأسٍ من سُمّها رشفوها
وطَوَوْا لُجّةَ الحياةِ سِراعاً
ثم ألقَوْا أعباءها ونَسُوها

أسلموا للترابِ والموتِ والظلمةِ
تلكَ القلوبَ ، دونَ رجاءِ
وطوتْهم يدُ الزمانِ
ولم تستبقِ منهم شيئاً سوى الأسماءِ
آه يا موتُ ، يا مقادرُ ، يا تاريخُ ،
رفقاً بأنفس الأحياءِ
اكذا يُسْدَل الستارُ على الأعمارِ ؟
يا لَلأحزانِ ! يا لَلْشقاءِ !

ليتَ كفٌ النسيانِ قد محتِ الأسماءَ من قبلُ ،
ليتها لم تَصُنْها
ليتها لم تَدَعْ على صَفَحَاتِ الكُتْبِ ،
ظلاً منها يحدّثُ عنها
تركتْها سُخْرِيَةً في فم الدَّهْرِ
وهُزْءَةً من الحياةِ ومنها
يا حياةً هِمْنا بها وهي ليلٌ
يأمرُ الموتُ ، في دُجَاهُ ، وينْهَى

أيتهذي الأسماءُ ، يا من تَبقّيتِ
تماثيلَ ليسَ فيها حياةُ
أنتِ يا من بالأمسِ كنتِ شُعوراً
وقلوباً تَشُوقُها النَغَماتُ
كلُّ لفظٍ وراءَ أحرُفِهِ معنى حياةٍ
أتى عليها المماتُ
كلُّ لفظٍ قلبٌ مَشَى تحتَ ضوءِ الشمس يوماً
وملؤه الرَّغَباتُ

وأستحالتْ تلكَ القلوبُ رَمَادا
واستحالتْ أعمارُها ألحانا
كلُّ حيٍّ مَشَى به الأهلُ والأصحابُ للقبرِ
يائسينَ حزَانى
وتصدَّى للذكرياتِ الحزيناتِ
فتىً شاعرٌ يذوبُ حنانا
فشدَاها أغنيَّةً ظنَّها تُبْقي حياةَ المَوْتَى
وتَعْدو الزمانا

آهٍ يالَلْمخدوعِ ، قد بَقِيَ اللحنُ
ولكنْ أين الذينَ شَدَاهُمْ ؟
أينَ ألحانُهم ؟ وأينَ أماني عمرهم ؟
أو حقولُهم وقُرَاهُمْ ؟
أينَ ما حدَّثوا به الليلَ والفَجْرَ ؟
وأينَ ابتهاجُهم وأساهُمْ ؟
أسفاً شاعري ! لقد باد موتاكَ ،
وأبقيتَ في الوَرَى ذكراهم

ما تُفيدُ الذكرى وقد خَبَت الألحانُ
واستسلمتْ لأيدي السكونِ ؟
واستحالَ الأحياءُ في الكُتْبِ أسماءَ
تثيرُ الأسى لقلبي الحزينِ
لستُ أدري ماذا حَوَى كلُّ لفظٍ
من مَعَانٍ غابتْ وراءَ السنينِ
لستُ أدري إلاّ أساي وحُزْني
لضَحَايا الماضي وصَرْعى المَنُونِ

وأنا يا حياةُ ، ماذا سألقَى ؟
هل سأغدو لفظاً جفتْه المعاني ؟
هل ستطوينيَ الليالي وتُلْقي
فوق عُمري دياجرَ النسيانِ ؟
وغداً يُطفىءُ الزمانُ سراجي ؟
ويُضيع الرَدَى صَدَى ألحاني ؟
ثم أغدو بين التماثيل تمثالاً ؟
وأُمحى من الوجود الفاني ؟

آهِ لا ، لا أُريدُ ،
فلْترحمِ الأيّامُ دمعي وشَقوتي واكتآبي
ولْيكن من لحني الحزينِ صدىً باقٍ
بسَمْعِ السنينِ والأحقابِ
رحمةً لا تكنْ دموعي الدّفُوقاتُ
رثاءً مبكّراً لشَبابي
ولْيُسَجّلْ ، على ضريحيَ ، ما يُبْقي شبابي
وإن أكنْ في التُراّبِ

هكذا ينتهي شعوري بحِرْماني
وأنسَى مأساةَ عُمْري الخادعْ
وأعَزّى بأنّ في الكونِ ، من قلبي ،
بقايا من الأسَى والمدامعْ
ويقولونَ : ذلك اسْمُ فتاةٍ
طالما غنّتِ النجومَ اللوامــعْ
فسلامٌ على أسَاها وذكراهــا
سلامٌ على صِبَاها الضائعْ

٣–٦–١٩٤٦

ذات مساء

ثورةٌ من ألمٍ ، من ذكرياتِ
خلفَ نفسي ، ملءَ إحساسي العنيفِ
وجُروحٌ في دمي ، في خلَجَاتي
في ابتساماتيَ ، في قلبي اللهيفِ

إن أكنْ أبسِمُ كالطفلِ السعيدِ
فابتساماتيَ وهْمٌ وخِداعْ
إن أكنْ هادئةً ، بين الورودِ
ففؤادي في جُنونٍ وصِراعْ

أيُّ مأساةٍ تراها مقلتايا!
أيُّ حزنٍ عاصرٍ في نظراتي!
جمدت فوق شفاهي شفتايا
وانحنت كفّايَ تحت الرعشاتِ

لا تسلني عن خيالاتي ولحني
فالدجى الآنَ بغيضٌ في عيوني
أينَ ألقى بصري الباكي وحزني
إن أنا حوّلتُ عن كفّي عيوني؟

أينَ إرنو؟ كلّما حوّلتُ عيني
طالعتني صورةُ الوجهِ اللهيفِ
ذلكَ الوجهُ الذي ألهبَ فنّي
بمعاني الشعرِ والحبِّ العنيفِ

أيهّا الغـادرُ ، لا تنظرْ إليّـــا
قد سئمتُ الأمـــل المُرّ الكـَذُوبا
حسبُ أقداريَ ما تَجْني عليّــــا
وكـَفـَى عُمْريَ حُزْنـــاً ولهيبا

فيم أبقى الآن حَيْرَى في مـــكاني ؟
آه لو أرجِـــعُ ، لو أنسَى شقائي
أدفِنُ الأحزانَ في صَدْرِ الأغاني
وأناجــي بالأسَى صمْـــتَ المَسَاءِ

ليتنا لا نلتقي ، ليـــتَ شَقَـائي
ظلّ ناراً ، ظـــلّ شوقاً وسُهَـادْ
يا دُموعي ، أيّ معـــنىً للـّقاءِ
إن ذَوَى الحبّ وأبـــلاهُ البعـادْ

أيّها الأقدارُ ، ما تبغينَ منّا ؟
فيمَ قد جئتِ بنا هذا المكانا ؟
آهِ لو لم نكُ يا أقدارُ جئنا
ها هُنا ، لو لم تَقُدْنا قَدَمانا

ما الذي أبقيتِ في قلبي الجريحِ
ليس إلا الألمَ المرّ الشديدا
لم يَعُدْ في جسميَ الذاوي وروحي
موضعٌ يحتملُ الجُرْحَ الجديدا

أكذا تنطفىءُ الذكرى ؟ ويَفْنى
حبُّنا ؟ والأمَلُ الشعريُّ يخبو
أكذا تذبلُ آماليَ حُزْنا
وهي أشعارٌ وأنغامٌ وحبٌّ ؟

خدّرَ الحزنُ حياتي وطواها
لم تَعُدْ تَعنيني الآنَ الحياةُ
أبداً ينطقُ باليأسِ دُجَاها
وتُغنّي في فَضَاها العاصفاتُ

لم يَعُدْ من حُلُمي غيرُ ظلالِ
من أسىً مرّ على وجهي المريرِ
آهِ لا كانَ بُكائي وخَيَالي
أيّها الليلُ ، ولا كانَ شعوري

والتقينا ، لا فؤادٌ يتغنّى
لا ابتسامٌ رسمتْهُ الشّفتانِ
لم يَعُدْ إحساسُنا شعراً وفنّا
ليتنا ضعْنا وماتَ الخافقانِ

لم يعــدْ في نفسيَ الوَلْهى مكانُ
لأميّ أو فرحــةٍ أو ذكــرياتِ
أيّ معنىً للمُنى ؟ فـاتَ الأوانُ
وذَوَتْ عينــايَ ، تحتَ العَبَراتِ

والتقينــا في الدُجَى ، كالغُرَباءِ
تحت جُنْح الصمتِ يطوينـا الوجومُ
كلُّ شيءٍ ضاحـكٌ تحـتَ السماءِ
وأنا وحـديَ تُذويــني الهمــومُ

هكـذا يا ليـلُ صوّرتُ شقائي
في نشيــدٍ من كآباتي وحـزني
قصّـةٌ قـد وقعَـتْ ذاتَ مساءِ
وحَـوَتْ روحي وأحزاني ولحني

٢ ــ ٥ ــ ١٩٤٦

جَزيـرة الوَحي

خُذْني الى العـالم البعيدِ
يا زورقَ السِحْر والخُلودِ

ومِرْ بقلبي الى ضِفـافِ
توحي الى القلبِ بالقصيـدِ

جزيرةُ الوَحْي ، من بعيدٍ ،
تلوحُ كالمـأمـلِ البعيـدِ

ألرمـلُ في شطّها نَدِيٌ
يرشَفُ من دجـلةَ البَرُودِ

والقَمَرُ الحُلْـوُ ، في تَمَامَا،
أمنيّةُ الشاعرِ الوحيـــدِ

فلْتَنْشرِ يا زورقي بروحي
قــد آنَ أن يستفيقَ عودي

وآنَ للشِـعْر أن يُغنـّي
بالحُلُمِ الضـــاحكِ الشَرُودِ

حُلْـمي ، وقد صُغْتُهُ نشيداً
يهشُ ، من سِحْرِهِ ، وجودي

شاعرتي ، حـــدّقي ، فهذي
جزيرةُ الشِعْر والنشيـدِ

لاحتْ ، على البعْد ، ضَفّتاها
أمنيّـــةَ العالَمِ الجديـــدِ

إن لَهَتِ المقلتانِ عنها
صاحتْ بها الأمنياتُ : عودي

فلْتبسِمي ، يا ابنةَ الأغاني
للشاطىءِ الساحرِ المديدِ

ولْتُوقفي الزورقَ المُعَنّى
تحت شُعَاعِ السَنَا البديدِ

ألعودُ والشِعْرُ والأماني ،
شاعرتي ، فاصْدَحي وزيدي

قد ضَحِكَ العُمْرُ واستنامتْ
عواصفُ اليأسِ والنكودِ

وانقلبَ اليأسُ بُشْرَياتٍ
وأمنياتٍ ، فأيْ عيد !

٥-٩-١٩٤٤

علی وَقعِ المطـــر

أمطري ، لا ترحمي طيفيَ في عُمْقِ الظـّلامْ
أمطري صُبّي عليّ السيلَ ، يا روحَ الغَمَامْ
لا تُبَـــالي ان تُعيديني على الأرضِ حُطَـامْ
وأحيليني ، إذا شئتِ ، جليــداً او رُخَامْ

أتـرُكي ريـحَ المساءِ المُمطرِ الداجي تُجَنّْ
ودعي الأطيارَ ، تحت المطر القاسي ، تئنّْ
أغرقي الأشجارَ بالماءِ ولا يُحْزنـكِ غُـصُنْ
زَمْجري، دَوّي ، فلن أشكوَ ، لن يأتيكِ لحنُ

أمْطِري فوقي ، كما شئتِ ، على وجهي الحـــزين
لا تُبالي جَسَدي الراعشَ ، في كفِّ الدُجونِ
أمطـــري ، سيلي على وجهيَ ، أو غَشّي عيوني
بلّي مـــا شئتِ كفّيَّ وشَعْري وجبيني

أغْرقي ، في ظُلْمة الليلِ ، القُبورَ الباليـه
والطمي ، ما شئتِ أبوابَ القُصورِ العاليـه
أمْطري ، في الجَبَل النائي ، وفوقَ الهـــاويه
أطْفئي النـيرانَ ، لا تُبْقي لحيٍّ باقيـــه

آهِ ما أرهَبَكِ الآنَ ، وقـد ساد السكونْ
غيرَ صوتِ الرّيحِ ،في الأعماقِ، تدوي في جُنون
لم تَزَلْ تَهْمي،من الأمطارِ ،في الأرضِ ،عيونْ
لم يَزَلْ قلبي حزيناً ، تحت أمواجِ الدُجون

أيُّها الأمطارُ ، قد ناداكِ قلبي البَشَريْ
ذلكَ المُغْرَقُ في الأشواقِ ، ذاكَ الشاعريْ
إغسِليه ، أم ترى الحُزْنُ حِمَاهُ الأبديْ
إنّه ، مثلَكِ يا أمطــارُ ، دفّاقٌ نقيْ

ابداً يسمعُ ، تحت الليلِ ، وقْعَ القَطَرات
ساهمــاً يحلمُ بالماضي وألغــازِ المماتِ
يسألُ الأمطارَ : ما أنتِ ؟ وما سرُّ الحياةِ ؟
وأنا ، فيمَ وجودي ؟ فيمَ دمعي وشَكَاتي ؟

أيها الأمطارُ ما ماضيكِ ؟ من أين نبعتِ ؟
أابنةُ البحرِ أم السُحُبِ أم الأجواءِ أنتِ ؟
أم تُرَى من أدمُعِ المَوْتَى الحَزَانى قد عُصِرْتِ ؟
أم دموعي أنتِ يا أمطارُ في شَدْوي وصَمْتي ؟

ما أنا ؟ ما أنتِ يا أمطارُ ؟ ما ذاكَ الخضَمُّ ؟
أهُوَ الواقعُ ما أسمَعُ ؟ أمْ صوتُكِ حُلمُ ؟
أيُّ شيءٍ حولنا ؟ ليلٌ وإعصارٌ وغيمُ
ورعودٌ وبروقٌ وفضاءٌ مُدْلَهِمُّ

أسفاً لستُ سوى حُلْمٍ على الأرضِ قصيرِ
تَدْفِنُ الأحزانُ أيّامي ويلهو بي شُعوري
لستُ الا ذرّةً في لُجّةِ الدهرِ المُغيرِ
وغداً يجرفُني التيّارُ ، والصمتُ مصيري

وغداً تدفعُني الأرضُ سَحَاباً للفضاءِ
ويُذيبُ المَطَرُ الدفّاقُ دمعي ودمائي
ما أنا الا بقايا مطرٍ ، ملءَ السَماءِ
تَرجِعُ الريحُ إلى الأرضِ به ، ذاتَ مساءِ

أمطري ، دوّي ، اغلي ضجّةَ أحزاني ويأسي
أغرقيني ، فلقـــد أغرقتُ في الآلام نفسي
إملأي كأسيَ أمطاراً فقد أفرغتُ كأسي
واحجُبي عني دُجَى أمسي فقد أبغضتُ أمسي

٩ ـ ١٢ ـ ١٩٤٦

شجرة الذكرى

مررتُ بهــا في المساءِ الدّجِيّ
فألقيتُ رَحْـلِيَ في ظلّهــا
وحدّقتُ في خُضْرِ أوراقِها ،
وروحي الكئيبةُ في ليلهـا
فهـاجتْ لقلبي دُجَى الذكريات
وأترعتُ لحْـنِيَ من ويلهـا
وصيّرتُ مُتّكَأي ساقَهـا
وطافتْ شجونِيَ من حولها

تذكرتُ ، والقلبُ في حُزْنِهِ
وقوفيَ ، في ظلّـهـا الساحرِ
كأنْ لم تمرّ الليـالي الطِوال
على أمسي المُبعِـدِ الدابرِ
وقفتُ أكفكفُ دمعي السخين
وأصرخُ مـن ألمي الآمرِ
أقصُّ على ظلّهـا قِصّتي
وقصّـةَ شاعريَ الغـادرِ

قصصتُ عليها الحديثَ الكئيب
وفي يـديَ الشوكةُ القاطعه
أمُرُّ بهـا ، والأسَى غـالبي ،
على ساقهـا البرّةِ الوادعـه
فيـا لَيَدي جرَحتْ ساقَهـا
وجـذّتْ أزاهيرَها اللامعـه
كأني بذاك جرحتُ الحياة
وعـاقبتُ أقدارَها الخادعـه

ومرّتْ عـــليّ السنينُ الطوالْ
وطالـعَـــني يومـيَ الخــالدُ
فأبصرتُ فيه أسايَ البعيــد
يُحِسُّ بــه قلبيَ الواجــدُ
فقلتُ لقلــبيَ : هيــا نُطِفْ
بها ، ولـنَبْثُرْ حزنَكَ الهامـدُ
سنسألُها اليومَ عن جُرْحهــا
ألم يَشفِـهِ الزَمَـنُ الآبــد

وعُدْتُ إليهــا ، كأنْ لم تمرّ
عـــليّ السنــينُ وأقدارُهــا
فــؤاديَ مــا زال مستأسَراً
وروحيَ ما أُطفِئت نارُهــا
يُفيِّئُني ظلُّهــا من جديــد
وتحنو عــلى القلب أزهارُهــا
فيا نُبْلَها ، صَفَحَتْ عن يدي
وما زال عنــد يدي ثارُهــا

ودُرْتُ أسائلُ عن جُرْحِهــا
أمــا دملتْــهُ أكفُّ القَـدَرْ ؟
فلم أرَ الاّ اخضرارَ الحياة
فليس عليهــا لجُرْحٍ أثَـرْ
وأما جِراحُ فؤادي الحزينْ
فما زلنَ يشكونَ طولَ الصَدَر
فيا عَجَبْـاً للزمانِ المسيء
متى عن إساءتــه يعتذرْ ؟

١٤ ـ ٦ ـ ١٩٤٤

الخيال والواقع

رحمةً ، لا تُنْزليني من سَمَائي
واتركيني في خيالِ الشُعَراء

أتركيني ، لا تُعيدي لي الظُنونا
ودعيني أملأِ الدنيا لُحونا
وأصُغْ عُمْري جَمَالاً وفُتونا
أبداً أصْدَحُ حبّاً وحَنينا
لحبيبي وأنا تحتَ سَمَائي
وخيالي ، من خَيالِ الشُعَراءِ

اتركيني ، أنا قد نُحْتُ طويلا
ودعيني أبصرِ الكونَ جميلا
شَبِعَ القلبُ دموعاً وذُهولا
فدعيه يقطعِ العُمْرَ جَهُولا
ويَعِشْ ، مثليَ في ظلٍّ السماء
ويُشاركْني خيالَ الشُعَراءِ

رحمةٌ بي ، رحمةٌ ، لا تُحْزنيني
ودعيني في خيالاتي ، دعيني .
قصّةُ الإثمِ وأنباءُ المُجونِ
لا تَقُصّيها على قلبي الحزينِ
ودعيهِ ، في تعاليلِ السَمَاءِ
ممعناً في نَشَواتِ الشُعَراءِ

إنْ يكن قلــبيَ ظمآنَ وفيّا
لا يَرَى في شاعري إلا نبيّـــا
أو يكنْ يكتُمُ حُبّاً شاعـريّا
فهو ما زال بأوهــاميَ يحْيَى
أبـداً يرسُمُ أحــلامَ السّمَاءِ
ويغنّي أغنيــاتِ الشُعَراءِ

قد سئمتُ الواقــعَ المرّ المملا
ولقد عُدْتُ خَيــالاً مضمحلا
فـاتركيني بخيــالي أتَسَلّى ،
آهِ كاد اليـأسُ يعرونيَ ، لولا
أنّني لُذتُ بأحــلام السماءِ
وتخيّرتُ خيــالَ الشُعَــراءِ

صوّري ما شئتِ لي الأمسَ وسِحْرَهْ
يومَ كان الحبُّ في كفّي زهـــره
إرسُمي للقلب أحـــلامَ المَسَرّه
ودعيني أذُقِ الأفـــراحَ مرّه
علّني أهبِطُ من بُرْج السَمَاءِ
ويُجَافيني اكتـــآبُ الشُعَراءِ

لا تـثـيري ألمي ، حسبُكِ أنتِي
لم أزَلْ في معبَـــدِ الحبّ أغنّي
لم يَزَلْ حُلْمي رؤيا مُتَمَن
كلّ يومٍ يَهْدِمُ اليـــأسُ وأبْني
ولقـد شيّدتُ لي بُرْجَ السَمَاءِ
وخيـالاتي ووهْمَ الشعـراءِ

لم يكن حبّي سوى حُلْمٍ غريبِ
مدّهُ الوهْمُ على قلبي الكئيبِ
أسفاً ، لم يَبْقَ لي غـيرُ شُحوبي
وأغـاريديَ آلتْ للغُروبِ
لم يَعُدْ لي غـيرُ أحلام السَمَاءِ
وخيـالاتي ووهْمِ الشُعَـراءِ

١٩٤٥-٨-٣١

السفينة التائهة

في لُجّةِ البحرِ الرهيبِ سفينةٌ تحت المسَاءْ
ألقتْ بها الأقدارُ في لُجَجِ المنايا والشَقَاءْ
الريحُ تصرُخُ حولَها وتضِجُّ في ظُلَمِ الفضاءْ
والموجُ يضربُها ويُلْقيها على شَفَةِ الفَنَاءْ

سارتْ ولا ربّانَ يَهْديها إلى الشطِّ السحيقْ
حَيْرَى يُخَادعها الظلامُ فلا شُعَاعَ ولا بريقْ
من فوقها هولُ الرعود وتحتها اللُجُّ العميقْ
سارتْ وما تدري الى أينَ المَصيرُ وما الطريقْ

الريحُ مزّقتِ الشِراعَ فأينَ يضرِبُ زورقي ؟
والموجُ أطفأ ضوءَ مِصْباحي فـــماذا قد بقي ؟
وغداً سينسكبُ الدُجَى في جَفْنيَ المُغرورقِ
وتسيرُ أمواجُ البحور على شبابي المُغْـرَقِ

لا شيءَ يمسحُ أدمعي ، لا حُلْمَ تـلمحُهُ عيوني
لا شاطىءٌ ترنو اليه سفينتي ، تحتَ الدُجونِ
كتبتْ ليَ الأقـدارُ أن أمشي على شوكِ السِنينِ
جسْماً تعذّبُـهُ كآبةُ خافــقٍ جمّ الحنـــينِ

رحماكِ يا أيدي الكآبةِ ما الذي قد كانَ منّي ؟
ماذا جَنَيْتُ لِتَعْصُري قلبي وأحلامي ولَحْني ؟
أبـداً تَمُدّين الجَنَاحَ على خيـــالاتي وفنّي
وتـلوّنينَ مَشَاعري بسَوَاد آهـــاتي وُحزني

ويروحُ يصرُخُ تحتَ عبثِكِ قلبيَ المتمرِّدُ
قلبي الذي ضاقَ الوجودُ به وعذَّبَهُ الغَدُ
قلبي الكئيبُ المُستَطَارُ الشاعرُ المتنهِّدُ
يَحْيَى على ظمأٍ الحياةِ فأينَ أينَ الموردُ ؟

كم شاعرٍ عَبَدَ الحياةَ وعاش يشدو بالجَمَالْ
أبداً يغرِّدُ للطبيعةِ والكآبةِ والخيالْ
حتى اذا طَلَعَ الصباحُ على الصَحَاري والتلالْ
عَثَرَ الضياءُ على فتىً مُسْجَىً على كُثُبِ الرمالْ

نمَتْ عليه كآبةٌ ، لم يَمْحُها الموتُ الرهيبْ
ووشت به عينانِ رانَ عليهما اليأس المُذيبْ
والى يمين رُفَاتِهِ قيثارُهُ الساجي الكئيبْ
حَفِظَ الوفاء لمن تَخَبَّتْ ألحانُهُ وذَوَى اللهيبْ

يا ليلُ ، ما نَفْعُ الأسَى ؟ يا بحرُ ، ما معنى الدموعْ ؟
ألنَوْءُ يصخَبُ داويــاً ، والموجُ يهزأ بالقُلوعْ
أنّى تسيرُ سفينتي الحَيْرَى إذن ؟ أنّى الرُجوعْ ؟
فلنمضِ للمجهولِ ، ذلك وحدَهُ ما نستطيعْ
٧—٧—١٩٤٦

قلبٌ ميّت

نعم ، ماتَ قلبي ، أينَ أحــــزانُ حبّه ؟
وأينَ أمـــانيهِ ؟ وأينَ أغانيهِ ؟
حرارتُهُ أضحتْ رَمَاداً مهشّمـــاً
وأحلامُهُ ذابتْ على صدر مـــاضيهِ
هو الآن ثلجيُّ العواطف ، باردٌ
يُقضّي مع الأشباحِ غُرَّ لياليـــهِ
ويَرْعَبُهُ ذكرُ المماتِ وليلِـــهِ
فيدفِنُ نيرانَ الأسى في قوافيهِ

وكانَ له من قبلُ هيكلُ مَعْبَدٍ
يُغنّيهِ في أحلامه وصَلاتِهِ
من الحُبِّ والأحلامِ صاغَ رُواءَه
وألقى عليهِ أمنياتِ حياته
على صَدْرِه الشِعْريِّ تمثالُ شاعرٍ
تذوبُ معاني الروح في نظراته
يَرَى فيه إحسامي حياةً نقيةً
أطلّتْ خفاياها على ظُلُماته

وكانَ صباحٌ ... واستفقتُ فلم أجدْ
من المعبدِ الشعريِّ الا رسومَهُ
تَحَطّمَ تمثالي الجميلُ على الثرى
وألقى على قلبي النقيِّ همومَهُ
ورُحْتُ الى حبّي أمزّقُ زهرَهُ
وأنثرُ أحلامَ الصِبا ونجومَهُ
ويَنْضَبُ في قلبي جمالُ شبابه
وينفثُ ليلُ الحزنِ فيه سمومَهُ

وها أنا ذي عُمْري احتقارٌ وأدمعٌ
وفي نفسيَ أنوهي لَظىً وتمرّدُ
أحنُّ الى حبّي الجميلِ وإن يكنْ
أشاحَ عن التمثالِ جَفْني المسهّدُ
وماذا تبقّى الآنَ ؟ شِلْوُ حجارةٍ
تضيقُ بها نفسي ، وصَخْرٌ ممدّدُ
تَعَلّقَ قلبي بالنجومِ وقلبُهُ
تمرّغَ في الأوحالِ ، والطينُ يشهَدُ

هنالكَ ، في الأمس البعيدِ ، وليله
سأدفنُ تِمْثالي وحُبّي وأدمعي
أشيّدُ قبراً من تمرُّدِ خافقي
وأسقيهِ من بُغْضي له وتَرَفّعي
أغنّيهِ ألحانَ احتقاري وثورتي
وتهزأُ أضواءُ النجومِ به معي
وأزرعُ فيه الشوكَ والسُمَّ واللّظى
وأتركُهُ شِلْواً كقلبي المروّعِ

٢٨ - ٧ - ١٩٤٦

بَعْدَ عَام ..

مرّ عامٌ يا شاعري
منذ أبصرتُكَ في ذلكَ الصباحِ الكئيبِ
مرّ عامٌ لم تكتحلْ عينيَ الظمْأى برؤياكَ ،
لم يخفّ قنُوطي
أالليالي تمرُّ تتبعُها الأيّامُ ،
في بُطئها المُمِلّ الرتيبِ
وأنا لهفةٌ ، وشوقيَ يزدادُ
وروحي في عاصفٍ من لهيبِ
ظمَأً للحياةِ يملأ إحساسي
ونارٌ في دمعيَ المسكوبِ
وشظايا كآبةٍ رسمتْ فوقَ جبيني
غلالةً من شُحُوبِ

مرَّ عامٌ ، من قالَ ؟
هل أنا في حُلُمٍ بناه تخيلي المصدومُ ؟
اهو وَهْمٌ ماخلتُهُ سَنَةً
أطفأ أضواءَها الزمانُ اللئيمُ ؟
مرَّ عامٌ ولم أقابلْكَ ؟ ماذا ؟
كيف أبقتْ على حياتي الهمومُ ؟
كيف طابتْ ليَ الحياةُ على بُعدكَ عني ؟
ولم يُمِتْني الوجومُ ؟
ألشهيقُ الحزينُ في هدأةِ الليلِ ،
ألم يُلْقِهِ اليكَ النسيمُ ؟
والشرودُ الذي أماتَ أحاسيسي ،
اما حدثتْكَ عنه النجومُ ؟

لم أزلْ أذكـُرُ الصباحَ الذي مرّ
ندىّ فوق قلبي المكسورِ
منذُ عامٍ ، في الشارعِ الصاخبِ الممتدّ ،
والشمسُ في صفاء الأثيرِ
جمعتْنا هنالك الصُدْفةُ الحُلـْوةُ
في غفلةٍ من المقدورِ
والتقينا ، لم نبتسِمْ ، لم أحدّثـْكَ
بما في فؤادي المعصورِ
لحظةً ، ثم أجهز الزَمَنُ القاسي
على قلب حُلـْميَ المَسْحورِ
مرتَ يُمْنى ، ومرتُ يُسْرى
ولم يبْقَ سوى ثورتي ونارِ شُعوري

ومضى العامُ كلُّهُ
كلَّ يومٍ أتلقّى الصباحَ بالأحلامِ
كلَّ يومٍ أقولُ : يا قلبيَ الظمآنَ للصحوِ ،
لا تَضِقْ بالغَمَامِ
ربّما أشفقت بنا الصُدَفُ العمياءُ
هذا الصباحَ ، بَعْدَ الظلامِ
لن يُضِيرَ الأقدارَ في ليلها
أن تتلقّاكَ مرّةً بابتسامِ
فتدِبُّ الحياةُ ثانيةً فيك
وتصحو خوامدُ الأنغامِ
ويُحِنُّ الشُعورُ في عُمْقِ أعماقكَ
حيّاً ، حرّاً من الآلامِ

مرّ عامٌ ، ودقّتِ الساعةُ الحمقاءُ عَشْراً
واستيقظت أحزاني
ألثلاثاءُ لم يُعِدْكَ
الى أشواقِ روحي الممزّقِ اللهفانِ
مرّ عامٌ ، كأنه حُلُمٌ مرّ
على جَفْنِ شاعرٍ وَسْنانِ
مرّ عامٌ ، لم يبقَ منه سوى لحنٍ
حزينٍ مُغْرورقِ الألحانِ
ليس الا ابتسامتي المُرّةُ الظمأى
ودقّاتُ قلبيَ الحيرانِ
ليس الا ظلٌّ من الصمتِ واللهفةِ
يبدو في جَفْنيَ الظمآنِ

٢٦ ــ ٦ ــ ١٩٤٥

العَوْدَة إلى المعبد

معبدي ، عـــادت بيَ الأحزانُ فارأفْ بعذابي
عدتُ يا ليتكَ تَدْري بعضَ آلامي ومـــا بي
عدتُ والقلبُ شريدٌ تائهٌ بـــين الضَبابِ
يتـــلوّى في إسارِ من حنيني واكتـــآبي

ذهبَ الأمسُ بـــأوهامِ فؤادي ومحـــاها
فـــإذا قلبيَ عبدٌ ولقد كان إلهـــا
آهِ فارأفْ بفتاةٍ حطّمَ الدّهْرُ مُناهـــا
وأفـــاقت لِيَهُدّ الحزْنُ واليـــأسُ قوُاها

مَعْبدي ، إفتَحْ لقلبي البابَ ، قد طالَ وقوفي
أنا من ماتَ ربيعي في أعاصيرِ الخريفِ
جئتُ ألقي بين كفّيْكَ أسى قلبي اللهيفِ
علّني أحظَى بظلٍّ في مجاليكَ وريفِ

عُدْتُ ، يا معبدُ ، للصَمْتِ ، فلن أشدوْ بحبّي
لم يَعُدْ قلبيَ يهفو فلقد ودّعتُ قلبي
حسبيَ الآنَ وجومي وكآباتيَ حسْبي
حسْبُ روحي نارُ إحساسي وآهاتي وُرعْبي

أسَفاً ، كيف ذوَى حُبّي ولحني ورجائي ؟
ليتني كنتُ تناسيتُ ، فلم أرْعَ وَفائي
ليتَ حبّي لم يُعلّمني أغاريدَ السماءِ
ليتَهُ خلّفَني في الأرضِ بينَ الأشقياءِ

رحمةً ، مــاذا تراني أفعــلُ الآنَ بفنّي ؟
هي ذي آلهــةُ الشِعْر فهل تمسَحُ حُــزْني ؟
هو ذا العودُ فهــل يُسْعدُ روحي أن أغنّي ؟
رحمةً بي ، ما الذي قــد أبقتِ الأحزانُ منّي ؟

أين أمسي ، وهو أحلامٌ وألحــانٌ ولَهْوُ ؟
أينَ أيّاميَ إذ قلــبي مــن الأشواقِ خِلْوُ ؟
ما الذي أبقَــى ليَ الحبُّ ؟ أجِسْمي ، وهو نِضْوُ ؟
وفؤادي ، وهو أوصالٌ ؟ وروحي ، وهو شِلْوُ ؟

إدفِنِ الأحــلامَ ، يا قلبي الخيــاليّ المُحَطَّمْ
واستفِقْ من قبلِ أن ينطفىءَ الحُلْمُ فتندمْ
مــا الذي أغراكَ بالحبّ ؟ ومن أوحى وألهَمْ ؟
عَجَبــاً ، كيف ترى الشرّ بعينيك وتحــلم ؟

إستفِقْ من حُلْمِكَ الشِعْريّ واياْسْ يا كئيبُ
ذبلتْ أغنيـــةُ الحبّ ووراهـــا المغيبُ
وستبقَى ، أيّهـــا المحزونُ ، في الشوقِ تذوبُ
أبداً ترجو رجوعـــاً لهوىً ليس يؤوبُ

ثم مـــاذا ؟ أيّ حُلْمٍ ترتجي يا ابنَ السماءِ
أنتَ في الأرضِ ، فـــلا تحلُمْ بلُقْيا الأوفياءِ
لا تَلُمْ شاعرَكَ الغـــادرَ وابسم للشقـــاءِ
والتجىءْ للعودِ تَسْتَعِـــدْ يا حزينَ الشُعَراءِ

معبدي ، إفتح لقلبي البابَ ، لا تَقْسُ عليـه
ليجدْ عنـــدَكَ سَلْواهُ لينسى أملَيـــهِ
يا لَمحزونٍ شقـــيٍّ مزّقَ الشوكُ يَدَيْـــهِ
ملءُ دنياهُ عُبوسٌ ، فابتسِمْ أنتَ إليـــه
٩ - ٨ - ١٩٤٤

عيد الانسانية

« ٨/٥/١٩٤٥ يوم الهدنة »

في دمي لحنٌ من الشوقِ جديدُ
والمجالي حَوَاليَّ نشيدُ
ليلتي هذي ابتسامٌ وسُعودُ
طافَ بالأفقِ فغنّاهُ الوجودُ
هي يا قيثارتي لحنٌ سعيدُ
هي شِعرٌ ، هي وَحيٌ ، هي عودُ
هذهِ الليلةُ للعالَمِ عيدُ
وهيَ ، يا قيثارتي ، الحُلْمُ الوحيدُ

أين أوتارُكَ يا عـودي الحبيبا
شُدّها واصدَحْ ولا تَبْقَ كئيبا
لم تَعُدْ دُنياكَ جَمْراً ولهيبـــا
أنتَ يا مَنْ عِشْتَ في الكون غريبا
نَغَمُ السِلْمِ سَرَى فاحْيَ طَروبا
واملأِ الدنيا لحُـوناً وطُيوبا
وانسَ أمساً مـلأ الكونَ خطُوبا
آنَ للأفراحِ أن تمحوْ الكُروبا

فرحةُ الهُدْنـة ، يا بُشْرَى لفنّي
أأنا أحـلُمُ ؟ أم تكذبُ أذْني ؟
أم هيَ الفرحةُ قد لاحتْ لعيني ؟
حُلُمَ الصادي ورؤيـــا المتمَنّي
يا إلهَ الشِعرِ نَحِّ الصَمْتَ عنّي
آنَ أن أنسى ضراعـاتي وحزْني
آنَ أن أحيِيْ الأمـانيْ وأغنّي
ومعي قلبي وأشعـاري ولحـني

أنا من غنّتْ دموعَ الأشقيـــاءِ
وبكـــتْ أشعارُهـــا للأبرياءِ
كم صريعٍ قبرُهُ ثلـجُ الشتـاءِ
ويتيمٍ مهـدُهُ شوكُ العَــرَاءِ
وصبايا كرَعَتْ سُمّ القَضـاءِ
قبلَ أن ترشُفَ كأساً من هناءِ
صُغْتُ أحزانَهُمُ لحــنَ شَقاءِ
هو أحزاني وحُبّي ووفائي

ولقــد مرّت بأحلامي السِنينــا
وهي مــا زالــتْ سَراباً وظنونا
واذا الرحمــةُ تُنجي الحالمينــا
بالسّلامِ الحُلْوِ ، حُلْمِ المنشدينا
وصَدَى الوحي ولحنِ الشاعرينــا
لم يَعُدْ قلبُ المقــاديرِ ضنينــا
فابسِمي ، شاعرتي ، في الباسمينا
واملأي المعبــدَ زَهْــواً وفتــونا

آهِ يا شاعرتي ، غنّي الأماني
واسمعي ، هذا هُتافُ المِهْرجانِ
فالنواقيسُ ، على البُعْدِ ، أغانِ
بَشَّرتْ بالفجر أحزانَ الزمانِ
وصَدَى السِلْمِ على كلِّ لسانِ
فاتنَ النغمةُ عُلْويُّ المعاني
انها الفرحةُ ، يدري المَشْرقانِ
أقبلتْ تأسو جراحَ الحَدَثانِ

٨/٥/١٩٤٥

ليلة ممطرة

ألآن يا نجمي تغيبُ ولم يَحِنْ وقتُ الأفولْ ؟
ألآنَ والليلُ الجميلُ يُريقُ ضوءكِ في الحقولْ ؟
والزَهرُ ، تحت الليلِ ، نشوانٌ بمَشرِقكَ الجميلْ ؟
والنهرُ ، والشطآنُ تضحكُ تحت أشجارِ النخيلْ

ألآنَ تغرُبُ ؟ يا لمَأساةِ الجمالِ الذابلِ
يا نجميَ المأسورَ في كفِّ الضَباب الشاملِ
يا فيلسوفَ الليلِ ، يا سرَّ الوجودِ الذاهلِ
عَبَثاً أناشيدي إلى أضواءِ نجمٍ آفلِ

عبثاً سَهِرتُ الليلَ أرنو والتفجّعُ غالبي
أتزوّدُ النَظَرَ الأخيرَ إلى ضياكَ الشاحبِ
وأصوغُ ألحانَ الرثاءِ على صِباكَ الذاهبِ
وأحوكُ من دمعي الضياءَ لكلّ نجمٍ غاربِ

رحماكَ يا نجمي الجميلَ متى نهايةُ ليلتي ؟
ومتى ستنقشعُ الغيومُ وتستريحُ كآبتي ؟
قد شاقَ قلبي أنْ أُحِسّ الصمتَ تحتَ خميلتي
وتجوبُ عيناي الفضاءَ وفي يدي قيثارتي

ما زلتُ أنتظرُ السكونَ وليس غيرُ صَدَى المَطَرْ
والريحُ في سَمْعِ المساءِ تئنّ ما بين الشَجَرْ
لا طيرَ يمرَحُ في الحُقولِ ولا أريجَ ولا زَهَرْ
لا شيءَ غيرُ صُراخِ رعدٍ هاتفٍ بأسَى البَشَرْ

ومن الظلامِ تصاعدَت آهاتُ قُمْريٍّ الغصون
ذهبت بمكنه الرّياحُ وعزّهُ المأوى الحَنُون
حيرانُ ، مرتعشُ الجَناحِ ، مجرّحٌ تحتَ الدُجون
رحماكَ يا ربّ العواصفِ ، حسبُنا المَطَرُ الهَتُون

أينَ الفضاءُ الحلوُ ؟ أين الصَحوُ؟أينَ سَنَا النجوم؟
من جمّعَ المَطرَ الكئيبَ ، وبثّ في الليل الغيوم ؟
يا ريحُ رفقاً بي ورفقاً بالعرائشِ والكروم
رفقاً بقُمْريّ المروج فقد أمضّتْهُ الهُموم

قد كان في قلبي أمانٍ يا رياحُ فخنْتِها
قد كان في هذا المساءِ مَفاتنٌ فمحوتِها
قد كان في المَرْجِ الجميلِ عرائشٌ أذبلتِها
قد كان في ثَبَجِ السَماءِ كواكبٌ أطفأتِها

وبَقِيتُ ، في الليلِ الكئيبِ ، أصيخُ للمطر الكئيبْ
وعلى فمي اللحنُ الغريبُ ، يصوغُهُ قلبي الغريبْ
وتلوحُ لي خَلَلَ النوافذِ ظلمةُ الليلِ الرهيبْ
عبثاً أغذّي موقدي فالآنَ ينطفىءُ اللهيبْ

قد حطّمَ الإعصارُ نافذتيّ وانطفأ الضياءْ
والآنَ لا أضواءَ حولي غير إبراقِ السماءْ
يا ضجّةَ الإعصارِ في الآفاقِ ، يا مَطَرَ المساءْ
الآنَ ألتمسُ الرُقَادَ إلى غَدٍ فإلى اللقاءْ

٦ ـ ١١ ـ ١٩٤٦ .

انشودة الأبدية

« الى القيثارة الالهية التي منحت الانسانية أروع الألحان ، الى تشايكوفسكي ، ذكرى لمرور اربع وخمسين سنة على وفاته . »

سأحبُّ الحياةَ من أجل ألحانك
يا بلبلي الحزينَ وأحيَى
سأرى في النجومِ من نور أحلامِكَ
ظلاً مخلّداً أبديّا

سأناجي في الليل جُنْحاً من الأحزانِ
ألقَى ، يوماً ، عليكَ ، ظِلالَهْ
سأحيّي في الكرْم فَيْضاً من الأسرار
أضفى ، يوماً ، عليكَ ، جمالَهْ

وإذا ثارتِ العواصفُ في الليلِ
وراءَ الحقلِ الرهيبِ الدَّجيّ
لمستْ روحيَ المَشوقةُ فيها
ذكرياتٍ من روحكَ الناريّ

آهِ يا أيّها المَلاكُ ،
إلى روحكَ ، في الموتِ ، حنّ روحي الحزينُ
أنا تلك التي حياتي ، على الأرضِ ،
اكتآبٌ ووحشةٌ وحنينُ

آهِ لو كنتُ عشتُ ، مثلَكَ ، في الماضي
وأبصرتُ وجهَكَ العُلويّا
لو رأيتُ الإلهامَ يملأُ عينيكَ ضياءً
وقلبَكَ الشاعريّا

آهِ لو بعتُ كلَّ عُمْري
بيومٍ شاعريٍّ يراكَ فيه وجودي
من بعيدٍ أرنو الى الهيكل السامي
وأُصغي اليكَ يا معبودي

وأرى كيف يُغْرِقُ الحزنُ مرآكَ
وتبدو أسرارُهُ في عيونِكْ
وأُحِسُّ ارتعاشَ قلبك للحُسْنِ
وظِلَّ الشُرود فوقَ جبينِكْ

وأرى كيف ترْجفُ الوترَ المسحورَ كفّاكَ
يا ملاكي النبيلا
كيف ترنو الى الحياةِ وما فيها
وتستلهِمُ الوجودَ الجميلا

وأرى كيف يغسِلُ الدمعُ عينيكَ
وتبكي في وَحْشهِ الإنفرادِ
وأرى كيف يرقُصُ الألمُ الطاهرُ
في مقلتيكَ ، قبل الرقادِ

كيف يأتي الدُجَى عليك فترنو
في ذُهولٍ الى ظِلالِ الماضي
بين فكّ الذِكـْرى ، يُعذّبُكَ الشوقُ
وتَبْقَى في رَعْشةٍ وانتفاضِ

كيف ، تحتَ الدُجَى ، تهيمُ على وجهِـك
بحثاً عن لحظةٍ من هُـدوءِ
هارباً من صُراخ نفسِـكَ ، من دُنياكَ
من عالم الوَرَى الموبوءِ

هارباً ، هارباً ، تُحدّقُ في النَـهْرِ
وما فوقَ مائه من جليدِ
تتمنّى أن يَدْفِنَ الثلجُ بَلـْواكَ
بعيداً عن اضطرابِ الوجودِ

آهِ يا بلبلي ، وقد جاءكَ الموتُ أخيراً
وغبتَ عن دُنْـيانا
أخمدَ الصمتُ والفناءُ أغانيْكَ
ولم يَبْقَ غيرُ رَجْعِ أسَانا

رَقَدَ الحالمُ الإلهيُّ ، تحتَ الفَجْرِ
جسماً مَيْتاً وروحاً أصَمَّا
كلُّ أنغامِهِ السماويّةِ الظَمْأى
وأحلامِ روحِهِ عُدْنَ حُلْما

وعلا ذلكَ الجبينَ الأثيريَّ
شُحوبُ الموتِ المريرِ القاسي
وهَوَى ذلك الإلهُ السماويُّ على الأرضِ ،
خامدَ الأنفاسِ

عبثاً قبّلتْهُ آلهةُ الفجرِ
وغنّتْهُ أعذبَ الأنغامِ
عبثاً ذكّرتْهُ ربّةُ موسيقاهُ
بالذكريات والأحلامِ

أيُّها الموتُ ، أيُّها الماردُ الشرّيرُ ،
يا لعنةَ الزمانِ العنيدِ
كيف ترْضَى يداكَ أن تقتلَ الإلهامَ ؟
ماذا تركتَهُ للوجودِ ؟

سوفَ تفنَى ذكراكَ أنتَ ،
ويبقَى ظِلُّ ذاك الطيرِ الجميلِ الوديعِ
سوفَ تبقَى نجواهُ تخفِقُ ، فوق الأرضِ ،
بالحبِّ والجمالِ الرفيعِ

أيّها الحاقدُ الترابيُّ ، أما أنتَ ،
فاحقِدْ وعِشْ على الأضغانِ
إنه الآنَ فوقَ حِقْدِكَ ، فوق الأرضِ ،
فوقَ الفَنَاءِ والنسيانِ

٣ - ٦ - ١٩٤٧

على الجسر

يا نَهْرُ لا تحفظْ دموعي أو أسَى قلبي المَروُعِ
أكتمْ – حنانَكَ – ما تساقطَ في مياهكَ من دموعي

ذهبَ المساءُ بكلّ ما أبصرتَ من حُزْني العميقْ
ومحا الدُجَى من عُمْرِ يأسي ليلةً لـن تستفيقْ

إنْسَ الذي أبصرتَهُ بالأمسِ مـن أحزانيـه
واكْتُمْ أسايَ وأدمعي تحتَ النُجومِ الحانيـه

إنسَ الخطـى المُتَعَثـّراتِ وصوتيَ المتهدّجـــا
والدمعَ ، يختنقُ كلّ ألفاظي بكفـّ من شـَجا

رحمـاكَ أنتَ الكاتمُ الحـــاني على المتـأوّهينْ
وحنانُ موجِـكَ كم طوى قلبـــاً يعذّبُهُ الحنينْ

أنتَ الذي شهِدَتْ ميـــاهُكَ أدمعي وتردّدي
أنتَ الذي سمعتْ ضفـــافُكَ آهتي وتنهّدي

ومَشَيْتُ فوقَ الجسرِ أبكي أمنياتي في سكون
وأديرُ وجهي ، نحو موجكَ ، عن عُيونِ العابرينْ

أحزانُ حبّي كلّها ، في شاطئيكَ ، نفَضْتُها
أسرارُ روحي كلّها ، تحتَ الظلامِ ، نثَرْتُها

لم أستطِـعْ ، يا نهرُ ، كِتْمانَ العواطفِ والشُعورْ
مَنْ يمنَـعُ السيلَ القويَّ من التَدَفُّقِ والمَسِيرْ ؟

وإذا طَغَى الحزنُ العميقُ فمن يَرُدُّ هديرَهُ ؟
واذا ذوى الأملُ الجميلُ فمن يُعيدُ عبـيرَهُ ؟

عَبَثاً أقاومُ نارَ أحزاني فلـن يخبو اللهيبْ
أبداً تُذكّرني الحياةُ بروعةِ الماضي الحبيبْ

حُلُمٌ إلهيٌّ الجمَالِ رسمتُـهُ تحت النُجومْ
وبنيتُهُ قصراً من الزَهْرِ المنضّرِ في الغيومْ

وصَبَبْتُ فيه ، من حَيَاتي ، صفوَهَا ونَقَـاءَها
ونثرت فيه ، من زُهوري ، عِطْرَها ورُواءَهَـا

وَهرَعتُ ، كالطفلِ النقيّ ، إلى رجائي الأوحدِ
فرأيتُ قصري الحُلْوَ أطلالاً تثــيرُ تنهّدي

لا شيءَ يمحو ذِكـرياتِ الأمسِ من قلبي الكئيبْ
لا نورَ ينفذُ في ظلامي ، لا انطفــاءٌ للّهيبْ

في عُمْقِ أعمــاقي أعاصيرٌ يُجَنُّ جنونُـهــا
وعلى جفوني رَسْمُ أحــلامٍ يَضِجُّ حنينُــها

إيّانَ أنجو من ظلالِ الأمسِ ، أينَ ترى المَفَرْ ،
والليلُ يعكسُ ذكرياتي ، والأغاني والشّجَرْ ؟

يا نهْرُ فلْتَدفِنْ شِكَاياتي وَمُرَّ شُجونهــا
الآدميّةُ إن بكتْ فلِضَعْفِهــا وجنونهــا

٢٥ – ٩ – ١٩٤٦

إلى الشاعر كيتس

الاشارات الى قصيدته :

« Ode to a Nightingale »

حيــاتي وآلامُ روحي الحزينْ
وأحلاميَ المُرّةُ الذاويــه
وموكبُ أيّاميَ الذاهبـاتِ
وأطيافُ أيّاميَ الآتيــه
تَجَمّعْنَ في باقةٍ من عبير
ثَوَتْ خلفهــا روحيَ الفانيه
وأهديتُهــا نَغَمــاً حالمــا
الى روحكَ الحُرّةِ البــاقيه

حيـــاتيَ ، يا شاعري ، كلّهـــا
حيــاةُ فتـــاةٍ من الحـــالمينْ
إلهيّــةُ الروح لكنّهـــا
على الأرضِ حَفْنَةُ ماءٍ وطينْ
تـُعـــذّبُهـــا صَرَخاتُ الأمَـى
وتُرْعِشُهـــا صَـدَمَاتُ السنين
ولولاكَ ما وجـــدتْ في الثرَى
عزاءً ، ولم يَجْتَذِبْهـــا الحنينْ

أناشيدُكَ الخـالداتُ العِـــذاب
نشيـــدي وأغنيتي الهـاتفـــه
فكم ليلةٍ من ليـــالي الشتاء
دفعتُ بهـــا ضَجّةَ العاصفـــه
وأسمعتُهـــا النارَ في مَوْقـدي
وغنّيتُهـــا الظُلّـــةَ الوارفـه
وأيقظـتُ في ظلّهـــا فِتْنتي
ونارَ عواطفيَ الجـــارفـه

وكم في ليـــالي الخريفِ الكئيب
وقفتُ أحدّقُ عنـــد النَهَرْ
أصيخُ الى صوتِ قـُمْريّـــةٍ
سَجَتْ فوقَ بعضِ غـُصونِ الشَجَر
أفتّشُ في صَوْتِهـــا عن شَجَاكَ
وشكواكَ بـينَ الأسَى والفِكَرْ
وأسألـُها عن شَبَـــابٍ ذَوَى
وظلّ صِباً راقـــدٍ في الحُفَرْ

أقولُ لها : صَوّري من جديـــد
ظـــلامَ المساءِ الكئيبِ البعيدْ
وما كانَ من شاعري في دُجَـــاه
وآهاتِـــهِ وأساهُ المـُبيـــدْ
صِفي حـُزْنَهُ عند رأسِ المريض
ووحشتَهُ والرَجَاءَ البَديـــدْ
صفي ذلـــكَ الجَسَدَ الآدميّ
وما قالَ عنـدَ وَدَاعِ الوُجودْ

صِفِي شاعري كيف أمضى المساء
على قَـدَمَيْ ذلــكَ الميّتِ
يُصيــخُ إلى النَغَماتِ الحَنون
ويُطْـرِقُ إطراقَـةَ المُنْصِتِ
صفيهِ ، كما أرعشَتْهُ الحيـاة
أمَيّ ، تحتَ سيف الرَدَى المُصْلَتِ
على كفّـــهِ رأسُهُ الشاعريّ
وحيداً ، إلى جـانب الجُثّةِ

وكيف تولّى المساءُ الحـزين
على شُعْلَة الشَمْعةِ الشاحبــه ؟
وهل صَرَخَتْ في الظـلام الرياح
كما صَرَخَتْ نفسُهُ الصاخبــه ؟
« هنالـكَ حيثُ يموتُ الشَباب
وتَذْوي أشعّتُهُ الغاربـه »
هنالـكَ حيثُ الذهولُ الغريب
يودّعُ روحَ المُـنى الذاهبه

وتَمْضي الليالي إلى قَبْرِها
وتَمْشي الحياةُ مع الموكبِ
أسيرُ أنا في شِعابِ الوجود
أفتّشُ عن حُلْمي المُتْعَبِ
تُخادعُني كلُّ قمريّةٍ
وتعبَثُ كلُّ الأغاريدِ بي
وما زالَ طيفُكَ طيَّ الخَفَاء
تُحَجّبُهُ ظُلْمةُ المَغْربِ

٦ — ٢ — ١٩٤٧

الفيضان

- ١ -

صـــوت التشاؤم

هي ذي ، يا ظلامُ ، عاشقةُ الليلِ ،
تُطيلُ التحديقَ تحتَ الدَيَاجي
وقفتْ ، عند شاطئِ النَهْرِ ، تُصغي
لأنينِ الرياحِ والأمواجِ
وترَى الليلَ غيهباً راعبَ الظلّ
على رائعٍ من الأثباجِ
وتحسُّ الحزْنَ العميقَ لحقلٍ
أغرقتْهُ المياهُ خلفَ السياجِ

وقفتْ في الدجى تُحِسُّ الأسَى المرّ
وتبكي في مَسْمعِ الظُلُماتِ
وترَى ، بالخيالِ ، ما حلّ بالقريةِ والبائسينَ
من ويلاتِ
فجأتْهم ، تحتَ الدجى ، لُجّةُ الموجِ
فباتوا صَرْعَى القضاءِ العاتي
ومضَوْا يَضْرِبونَ في ظُلْمةِ الليلِ .
وما من مَنْجَىً من المأساةِ

وتَعَالَى ، تحتَ الظلامِ ، صُراخٌ
ردّدتْهُ الرياحُ للأشجارِ
هو صوتُ الأحياءِ ، في لُجّةِ الموتِ ،
وصَرْعَى الأمواجِ والأقدارِ
عبثاً تضرعينَ ، عاشقةَ الليلِ ،
لقلبِ الظلامِ والأسرارِ
عبثاً فالحياةُ سُنّتُها الحُزْنُ ،
وحُكْمُ الآهاتِ والدّمعِ جارِ

- ٢ -

صوت الأمل

سِرْ بنا ، سِرْ ، يا زورقَ الأملِ العَذْبِ ،
وإن أسدلتْ ستورُ الظـلامِ
وتـعَالى الدويُّ في النـّهَرِ الباكي
على مَسْمعِ القلوبِ الدّوّامي
سر بنا ، لن نخافَ من ضجّة الموجِ
ولن نرهَبَ العُبابَ الطامي
نحنُ ، في الموجِ ، دَفـّةٌ
طالما لاقتْ رياحَ الأقدارِ والأيّامِ

سِرْ بنا حيثُما يُريدُ لنا المجهولُ
سِرْ في هذا الوجودِ الحزينِ
لن تنالَ الحياةُ منا ،
فقد ذُقْنا أساها في عُمْرنا المغبونِ

ورمتنا أحزانُها فصَبَرْنا
وغداً مَغْرِبُ الأسى والشُّجونِ
وغداً تَنْضَبُ الدموعُ
وتَفْنى ضجّةُ الموجِ في عميقِ السكون

سوف تصفو الامواجُ في لُجّةِ النّهْرِ
ويخبو الإعصارُ خلفَ التلالِ
وتعودُ النخيلُ تضحكُ للشطّ
كما كنّ في الليالي الخوالي
ويعودُ الملاّحُ يخرُجُ بالزورقِ
نشوانَ ضاحكَ الآمالِ
هكذا يرجِعُ الصفاءُ الى الوادي
ويغفو على جمالِ الليالي

-٣-

صوت الشاعر

مُغْرَقٌ في خياله ، شاردُ العينينِ
مُستسلمٌ إلى الأحلامِ
يذرَع الضفـةَ الجميلةَ
مفتوناً بصوتِ الأمواج والأنسام
ويَرَى اللُجّة الرهيبة سِحْراً
وينابيعَ فِضْنَ بالإلهامِ
وعلى البُعْدِ منظرُ النَخْلِ في النَهْرِ
ومَرْأى التلالِ والآكامِ

هكذا الشاعرُ الخياليُّ
يَقْضي يومَهُ في الأوهامِ والألحانِ
ويَرَى في طُغْيان مائكَ ، يا نهرُ ،
جَمَالَ الطبيعةِ المِفْتانِ

فهوَ ذاكَ الطيرُ المغرِّدُ بالشِعْرِ ،
نبيُّ الخيالِ والألوانِ
تتَصبّاهُ موجةٌ تغسِلُ الشَطَّ ،
ونهْرٌ داوٍ ، ولُجٌّ قانِ

كلُّ ما في الطبيعةِ الحُلْوةِ المِفْتانِ
يوحي لقلبه بالغناءِ
كيف لا ، وهوَ ذلكَ الشاعرُ المرهَفُ
وابنُ الخيالِ والإيحاءِ .
عاشقُ الصَحْوِ والغيومِ الحزيناتِ
وشادي الضياءِ والظَلْماءِ
ورسولُ السّماءِ للعالَمِ الباكي
وصوتُ الأمواتِ والأحياء

١٩٤٦

الخطوة الأخيرة

إشهدي ، أيتُها الأشجـــارُ ، أنـّي
لن أرَى ثانيـــةً تحـــتَ الظِـــلالِ
هـــا أنا أمضي فـــلا تبـــكي لحُزْني
لا يُعذّبْكِ اكتـــآبي وابتهـــالي

خُطُـواتي ، في الدُجَى لا تحسبيها
انـّهـــا آخِرُ مـــا أخطو هُنـَـــا
انـّها رجْـــعُ أغانٍ لن تَعيهـــا
سوف تَذْوي مثلـَما أذوي أنـــا

خُطُواتي ، أيُّ رجْــعٍ مُحْزنٍ
آهِ لو لم أسمــعِ الصوتَ الكئيبــا
ليتني أفقِــدُ حسّي ، ليتنــي
لم أشاهدْ ذلكَ الحُلْمَ الغريبــا

أيُّ حُــلْــمٍ ذابلٍ فوْقَ الرمــالِ
صُغْتُ فيــه كلَّ موسيقى حيــاتي
كلَّ أحــلامِ شبــابي وخيــالي
كلَّ مــا في خـافقي من نَغَماتِ

ها أنا أرحَــلُ ، يا أشجارُ ، عنكِ
تحتَ عبءٍ من شُرودي وخُشوعي
ليتني أجرؤ أن ألقيْ عليــكِ
نظرةً ثانيــةً ، دونَ دموعِ

لن تُحسّي ، في غـــدٍ ، وقْعَ خُطايا
فـأنا ، يا أخَواتي ، لن أعـــودا
كلُّ أحـــلامي وأضغـــاثِ رؤايا
عُدْنَ يأساً صارخاً ، عـدن شُرودا

سوف ألقي العودَ في الظلّ وأمضي
أيُّ معنىً ، بَعْدُ ، للعودِ الرقيقِ ؟
سوف أحْيَى ، يا سمائي ، فوقَ أرضي
سوف أطوي النورَ في قلبي العميقِ

وَوَداعـاً ، أنتَ يا حُلْمَ شبـــابي
أنتَ يا من صفتُهُ خمسَ سنـــينْ
ها أنا أدفِنُ ، في الأرض ، رغـــابي
وأُواري أمـــلي المُرَّ الحـــزينْ

أَلممرّاتُ الجميلاتُ ستبكي
فوق ذكرايَ ولكن لن أعودا
حسْبُ روحي ، أيُّها الأشجارُ ، منكِ
أنّ ذكرى رَغَباتي لن تَبيدا

وأنا ؟ لا تجزعي ، حسبُكِ منّي
أنّ ذكراكِ بقلبي سوف تَحْيَى
كلُّ جَذْرٍ منكِ في أعماق فنّي
سوف يبقى شاعريّاً أبديّا

آهِ يا أشجارُ ، لا ، لا تذكريني
فأنا تمثالُ يأسٍ بَشَريّ
ليس عندي غيرُ آثارِ حنيني
وبقايا من شقائي الأبَديّ

كنتُ يوماً خافقـــاً ، بينَ الغيومِ ،
أسْكُبُ الأحلامَ في عُمْق حيـــاتي
تصعَـــدُ الآمـالُ بي فوق النجـومِ
ويصوغُ الشعْرُ أحلى رَغَبـــاتي

أيُّها العودُ ، وَدَاعاً من حياتي
هبطَ الليلُ وقد حـــان رحيـلي
إمْحُ ما قـــد كان ، إمسَحْ نَغَماتي
إنْسَ أنغـــامَ شَقَـــائي وذُهولي

لن تعيْ ، في الغد ، أنغـــامَ أسايا
وترانـــيمَ سُروري وشَقـــائي
فانْسَني ، ها قد نـأى رجعُ خُطَايا
هـــا أنا أغرقُ ، في قلْبِ المساءِ

١٩٤٦

من الشعر المترجم

البحر

للشاعر الانكليزي ج . غ . بايرون
من قصيدته الطويلة
« Childe Harold Pilgrimage

أيُّها البحرُ ، أيّها الأزرقُ الداكنُ ،
اهدِرْ ، ماشئتَ ، في الظَّلماءِ
ساخرَ الموجِ من قُوَى الآدميِّينَ
عميقاً مُدوّيَ الأنواءِ
نخَرَتْ في العُبَابِ منكَ الأساطيلُ
وتاهتْ في موجِكَ اللانهائي
وبَقِيتَ المجهولَ ، يرهبُكَ الإنسانُ
وهْو الطاغي على الأشياء .

كلُّ ما عندَهُ من القوّةِ الهوجاءِ ، يا بحرُ
عند شطِّكَ يَعْيَى
فهو يَطْغَى ، في الارضِ ، بالشرِّ والتخريبِ
لكنْ تظلُّ أنتَ عتيًّا
وتظلُّ الأمواجُ منكَ ، كما كانتْ ،
حيًّ زاخراً ، وسطحاً سويًّا
ما عليها ظلٌّ لطُغْيانِ مخلوقٍ
سيبقى ، على الزمانِ ، صبيًّا

ذلكَ الحيُّ ، ليس يتركُ من ظلٍّ
سوى ظلِّهِ ، على الأمواجِ
عندما تحتويــه أنواؤكَ الهُوجُ
فَيَهْوِي في لُجَّةِ الأثباجِ
صارخاً ، هابطاً الى عُمْقِ أعماقك ، مَيْتاً
تحتَ الفَضَاء الساجي
دونَ قبرٍ يضُمُّ أشلاءَهُ أو كَفَنٍ
غيرَ رائعاتِ الدَيَاجي

كلُّ ما فوقَ موجِكَ الخالدِ الجبّارِ
ما إن يُبْقي بقايا خُطاهُ
ومسافاتُكَ البعيداتُ
ليستْ ، أيها البحرُ ، ما تنالُ يداهُ
أيُّها المُزْدري بطُغْيانِهِ المكذوبِ
يا ساخراً بكُنْهِ قواهُ
إنّه ذلك الضعيفُ ،
إذا جاءكَ يوماً وأبصرتْ عيناهُ

تتلقّاهُ موجةٌ بعد أخرى
منكَ ، يا بحرُ ، في ظلامِ المساءِ
ثم ترمي به الرياحُ المُخيفاتُ
رُفاتاً مَيْتاً ، الى الأجواءِ
فاذا ما خبا جنُونُ الأعاصيرِ
وماتتْ أصداؤها في الفضاءِ
عاد شِلواً الى حِمَى الشاطىءِ الساجي
وجِسْماً على حِفافِ الماءِ

أيّها البحرُ ، آهِ ما هذه الأسوارُ !
تحتَ الحديدِ والنيرانِ ؟
أيُّ شيءٍ هذي القلاعُ الرهيباتُ ؟
وما سرُّ ذلك الطُغْيانِ ؟
لُقّبوا سادةَ البحارِ ،
وما هُمْ غيرُ طيفٍ من الغُرور الفاني
تتلقّاهمُ قوى موجِكَ الرائعِ
بالموتِ والأذَى والهوانِ

كلُّ شيءٍ في الساحل الشاسع النائي
يُطيعُ الموتَ البطيءَ العَتِيّا
كلُّ شيءٍ يَبْلَى وتلبثُ جبّاراً ،
كما كنتَ ، ساخراً ، أبديّا
أينَ آشورُ ؟ أينَ روما وقرطاجةُ ؟
ما عادَ ذكرُها قط يَحْيَى
ذهبتْ كلُّها ، وماتتْ ،
وما زلتَ كما كنتَ ، أيّها البحرُ ، حيّا

كلُّ تلكَ السواحلِ الحُلْوةِ الفَنّاءِ
عادتْ ، تحتَ الزمانِ ، صَحَارَى
يتمشّى فيها الغريبُ ،
وكانتْ أمسِ دنيا تفيضُ نوراً ونارا
وتبقّيْتَ أنت ، مثلَكَ بالأمسِ ،
عميقاً ، مدوّياً ، جبّارا
لم يُغضّنْ جبينَكَ الزّمَنُ الماضي
وما زلتَ جارياً قهّارا

منذُ أن شبّتِ الخليقةُ
أنتَ البحرُ ، تحت الضياءِ والظُلُماتِ
كلُّ شيءٍ ، كما رأى البَشَرُ الفانونَ ، باقٍ
وأنتَ أنتَ العاتي
أبداً أنتَ ، ذلكَ اللانهائيُّ المُدَوّي ،
في مَسْمعِ الداجياتِ
أبداً أنتَ ، سَرْمديٌّ ، خفيٌّ
في السكونِ الساجي أو العاصفاتِ

وأنا ، أيها المحيطُ المُدَوّي ،
عاشقُ الموج ، والحَصَى ، والرمالِ
طالما سِرْتُ ، في صبايَ ، على الضفةِ
مُسْتَغْرِقاً بوادي الخيالِ
طالما سرتُ شارداً ، مثلَ أمواجِك ،
نشوانَ ، ضاحكاً للمجالي
كلُّ حُلْمي أن يحتويْ زورقي موجُكَ يوماً
فترتوي آمالي

كيفَ يا بحرُ ، كيف تَنْسَى مَرَاحي
عندَ أمواجكَ الجميلاتِ أمسِ ؟
عندما ، في طفولتي ، كنتُ ألهو
في شواطيكَ ، بين بِشْري وأُنْسي
طالما في أمواجكَ الباردات البيضِ
أترعتُ ، في الأماسيّ ، كأسي
ليت شعري فهل نَسِيتَ أغاريدي ؟
وحبّيْ الطاغي ، وفورةَ نفسي ؟

١٨ ـ ٦ ـ ١٩٤٦

مَرثية في مقبرة ريفيّة

«ترجمة للقصيدة المشهورة
An Elegy Written in a
Country Churchyard
للشاعر الانكليزي توماس غراي»

في المساءِ الكئيبِ ،
والجَرَسُ المحزونُ ينعَى النهارَ للأجواءِ
والقطيعُ المكدود ينسابُ في المرج
بطيءَ الخُطَى ، كئيبَ الثُغَاءِ
والفَتَى الحارسُ المَؤودُ
إلى المأوَى يَجُرُّ الخُطَى من الإعياء
تاركاً هذهِ المجاليْ الحزيناتِ .
لقلبي أنا ، وللظَلْماءِ

سوف يخبو النورُ المتلألئ في الأفق
بعيداً ، على امتدادِ السهوبِ
والفضاءُ الممتدُّ يغمرُهُ الليلُ
فلا شيءَ غيرُ صمتٍ رهيبِ
ليس إلا حفيفُ أجنحةِ الأطيار
في جوّها الدّجيّ الكئيبِ
ودويُّ الأجراسِ ينشُرُ ، فوق المَرْجِ ،
وهْمَ الكرَى وصمْتَ الغيوبِ

ليس الا قُمْريّةٌ
يُرْسِلُ الشكوى الى البدر قلبُها المغبونُ
عُشّها قُنّةٌ تسلّقَها الزهْرُ
وأخفتْهُ في الظلال الغصونُ
تتشكّى الذين مرّوا بدنياها
فلم تَدْرِ ما عَسَى سيكونُ
عكّروا العُزْلةَ القديمةَ والصمتَ
فدوّى هُتَافها المحزونُ

ها هُنا ، في الظِلالِ من شَجَرِ السَرْوِ ،
وبينَ الأغصانِ والأشجارِ
حيثُ تعلو الرمالُ ، والعُشْبُ ينمو
بين هذي الكُثبانِ والأغوار
رقد الراحلونَ من ساكني القريةِ
بين الرمالِ والأحجارِ
أسلمتْهم أيدي المَنونِ الى ضيقِ قبورٍ
تحت الثرَى المُنْهارِ

رقدوا ، فابتسامةُ الفجر
لا توقظُ دُنياهمُ على الأنسامِ
ومراحُ الطيورِ ، في أسقُفِ الأكواخِ ،
ما إن يُصْحيهمُ من منامِ
رقدوا الرقدةَ الأخيرة
في الوادي الدَجِيِّ الحزينِ ، وادي الحِمَام
ليس تُغريهمُ هُتافاتُ بوقٍ
كيف تُغرَى هياكلٌ من عظامٍ ؟

رقدوا في العَرَاءِ ، تحتَ الثلوجِ البيضِ :
لا مَوْقِدٌ ولا نيرانُ
ومضَوْا ، فالبيوتُ خاويةٌ منهمْ
وفي قلبِ أهلها أحزانُ
لا صغارٌ تخِفُّ جَذْلى مساءً
تتلقّاهمُ ولا أحضانُ
يا لَتنهيدةِ اليتامَى !
فما يرجِعُ آباؤهم إلى ما كانوا

كم تعرّتْ سنابلُ القمح في أيديهمُ
كم ترنّموا في السُهولِ
ولكم شقّتْ الحقولَ محاريثُهمُ
فازدهتْ زهورُ الحقولِ
وبأيّ الأفراحِ ساقُوا إلى المأوى ،
قطيعَ الأغنامِ عندَ الأصيلِ
ولكم أخضعوا من الشَجَرِ الصَلْدِ ،
وألقَوْا ، بِساقِهِ ، في الوُحولِ

ليس للهازئين ان يَحقروا جُهْدَهم
أو طُموحَهم في الحياةِ
أو مَسَرّاتهم ، وذكرَهُم المغمورَ بالفقر
والشقاء العاتي
رحمةً ، لا تكنْ دموعُ الحَزانَى بَسَمات
في الأعينِ الساخراتِ
ليسَ للأغنياءِ أن يَحقروا عُمْر فقيرِ
مَحياهُ للآماتِ

أوَليست هذي الحياةُ سَراباً ؟
أوَليس الفَناء عُقبَى سَناها ؟
أوَتُنجي الألقابُ أو مِنَحُ المجْدِ
اذا ما الحِمامُ أحنَى الجِباها ؟
يالَوَهْمِ الأحياءِ ،
كم من حضاراتٍ أطافَ البِلى بها فمَحاها
كلُّ ما في الحياةِ يُنْهي إلى القبرِ ،
فما مَجْدُها ؟ وما جَدْواها ؟

لا تَلُمْهم ، يا أيها الكائنُ المغرورُ ،
إن لم يَرْقَ هَوَاكَ الثَوِيُّ
لا تَلُمْهم ، إن لم يَشِدْ فوقه المجدُ التماثيلَ ،
ايها البشريُّ
ها هنا لا قِبَابَ ، لا قوسَ نصرٍ
ليس الا سرُّ الرَدَى الأبديُّ
وهُوَ المرقَدُ الأبيدُ لقومٍ
لم يُرَنّمْ مديحَهُمْ آدميُّ

ليتَ شِعْري ، ماذا تقولُ التماثيلُ لميْتٍ ؟
وما غنى الافواسِ ؟
ألها أن تردَّ للكائنِ الحيِّ ، إذا ماتَ ،
خامدَ الأنفاسِ ؟
وهُتافُ المديحِ ،
هل هُوَ ، يوماً ، بالغٌ مَسْمَعَ الحِمامِ القاسي ؟
ونفاقُ الأحياءِ
هل يمنحُ الأجداثَ والموتَ رعشةَ الإحساسِ ؟

لستَ تدري من حلّ ، في هذه البقعةِ ،
تحتَ التُرَابِ والأشواكِ
علّهُ كان شاعراً ، طاهرَ الروحِ ،
حبتْهُ السماءُ قلبَ ملاكِ
علّهُ العبقريُّ ، لو أمهلَ الموتُ ،
لقادَ الدُنْيا الى الأفلاكِ
علّهُ المُلْهَمُ الذي يوقظُ النايَ
فيفترُّ كلُّ قلبٍ باكِ

عبقرّياتُهُم زوَتْها المآسي
ومحَتْ ضوءَها يدُ الأقدارِ
فهُمُ الجاهلونَ ،
ما رفرفَ العلمُ عليهم بجُنْحِهِ الطيّارِ
وهم البائسونَ ،
أطفأ بَرْدُ الفَقْر فيهم نبعَ اللهيب الواري
فاذا عبقريّةُ الروحِ مَجْرىً
جامدُ السيلِ راسبُ التيّارِ

يالظُلْم الأقدارِ ،
كم ماسةٍ حسناءَ ظلّتْ في ظُلْمة الأعماق
أخفتِ اللُجّةُ العميقةُ لألاها
فيا ضَيْعَةَ السنا الألاّقِ
كم زهورٍ زَجّى بها القدَرُ القاسي
بعيداً عن أعيُنِ العُشّاقِ
تبعثُ العطْرَ والفتونَ
إلى جوّ الصحاري ودُجيةِ الآفاقِ

ربّما كان ، تحتَ هذا الثرى العاري ،
قلوبٌ شواعرٌ وعقولُ
ربّما كان ، تحتها ، (هامدنٌ) ثانٍ
زَوّاهُ مَقرّهُ المَجْهولُ
أو فتىّ مثلُ (ملتنِ) الشاعرِ المُلْهَمِ
أخفاهُ صمتُهُ والذهولُ
ربّما كان تحتها (كرومولٌ) آخَرُ
لم يُصبهِ الدمُ المطلولُ

حَرَمَتْهم أيدي القَضاءِ نعيمَ العَيشِ
واستعبدتْهمُ الآلامُ
فهُمُ حيثُ لا مجالسَ ، لا تصفيقَ
حيثُ المَحيا هُدًى وسَلامْ
وهمُ حيثُ ليس يُهزَا بآلام الحَزانَى
وتُحتَقَرُ الأيتامُ
وهمُ البائسونَ ، أرضُهُمُ قَفْرٌ
وأيامُهُمْ طَوًى وسَقامُ

غيرَ أنَّ الشقاءَ
أخمد في دنياهمُ الإثمَ والأذى والغرورا
فاذا هم ولا جرائمَ تُدْمي الأرضَ
من حولهمْ ، ولا تدميرا
لم يخوضوا الحروبَ سَعْياً الى المجدِ ،
ولم يعرفوا الدمَ المهدورا
والليالي مدّتْ لهم سُبُلَ الرحمةِ ،
فاستعذبوا الشعورَ الطَهُورا

وهُـوَ الفَـقـْرُ ، ردّ أنفسَـهم
بـِيـْضاً من الشرّ ، والأذَى ، والحـُقودِ
فاذا طافَ باطلٌ بحِماهمْ
فاحمرارُ الحياء لونُ الخـُدودِ
ليسَ فيهم مَنْ سخّرَ الشِعْرَ والفنّ ،
عبيداً للمَـطمَعِ المحدودِ
ليسَ فيهم من داس آلهةَ الفنّ ،
على مَذْبحِ الغِنىَ المنشودِ

ولقد أمْضَـوا الحياةَ بعيدينَ
عن النارِ واحتدامِ الصِراعِ
ملأتـْهم ألوانُ أحلامهم نـُبْلاً
فلم تـُغْـرِهم رؤى الأطماعِ
عبروا واديَ الحياةِ سُـكوتاً
مُغْـرَقي العُـمْرِ في صفاءِ الطِباعِ
لـَهْوُهم منبعٌ يفيضُ على الأرضِ ،
ونايٌ نشوانُ في فم راعِ

رقدوا ، والقبورُ عاريةٌ ،
إلا من الصَمْتِ والهُدوءِ الحزينِ
وعلى البُعْدِ تلمحُ العينُ تمثالاً ضئيلاً ،
يبكي لصَرْعَى المَنُونِ
كُتبتْ تحتَهُ قوافٍ وأشعارٌ
تغنّي لمن ثَوَوْا في الطينِ
يسألُ العابرينَ آهةَ حُزْنٍ
لقُبورٍ تحتَ الدُجَى والدُجونِ

ألقبورُ التي حَنَتْ ريشةُ الشِعْرِ عليها
بلحنٍ حزنٍ حائرْ
فاذا اللحنُ لحنُ شادٍ مُقِلٍّ
ليسَ فيه الا تفجُّعُ شاعِرْ
ألقبورُ التي على صَخْرِها لحنُ رِثاءٍ
يثيرُ دمعَ العابرْ
ويُنادي الأحياءَ أنّ حيــاةَ المرء حُلْمٌ
عُقْباهُ صمتُ المقابرْ

أيُّ نفسٍ ترى يهونُ عليها
أن تُوارَى في لجَّةِ النسيانِ ؟
ولْتكنْ هذه الحياةُ شقاءً
من تراهُ يرتاحُ للأكفانِ ؟
أيُّ قلبٍ يَرْضى مُغادرةَ الأرضِ
بلا حَسْرةٍ ، ولا أحزانِ ،
وهي أفْقُ الأضواءِ ، والسِحرِ ، والأشعارْ ،
والقبرُ عالمُ الديدانِ ؟

وهيَ الروحُ ، حين ترحلُ ،
تهفو لفؤادٍ حانٍ وصدْرٍ خَفوقِ
والعيونُ المودّعاتُ
يُعزّيها أسَى مُشْفِقٍ ودمعُ صديقِ
ومِن القبرِ ، ذلك المظْلم البارد ،
يعلو صوتُ الزمان العميقِ :
آه حتى في شِلْوِ أجسادنا الميْتَةِ
تبقى آثارُ ذاك البريقِ

آهِ يا شاعري ، وأنتَ ؟
وقد خلـّدتَ ذكرى الأمواتِ والبائسينا
أنتَ ، يا من قصصتَ أنباءهم شِعْراً
وذوّبتَ قلبَكَ المحزونا
عَلَّ روحاً تقودُهُ الوَحْدةُ الخرساءُ يوماً
إلى حِمَاكَ حنينا
علـّهُ سائلٌ غداً عن أغانيكَ
وما قد جرّتْ عليكَ السِنينا

أيـّها الشاعرُ الوفيُّ ،
وقد يهتـُفُ قلبٌ ثانٍ يـُجيبُ السؤالا :
طالما قبّلتْ خـُطاهُ ثـرَى الوادي صباحاً ،
وجابتِ الأدغالا
طالما سار مـُسرْعاً ،
تنفضُ الأنداءَ أقدامـُهُ وتَطْـوي التِـلالا
ليـُلاقي أشراقةَ الشمسِ فوق القِمَمَ الخـُضْر
فتنةً وجمَالا

ها هنا في الظِلال من شَجَر البلّوطِ
بينَ الأغصانِ والأفياءِ
طالما مدّ جسمَـهُ الخائرَ المكدودَ
مُسْتَسْلِماً لأيدي القضاءِ
سابحاً في الخيالِ ، مُغْرورقَ العَيْنينِ ،
نَهْبَ اكتآبةٍ خَرْساءِ
أبداً يرقبُ السواقيَ حيرانَ
ويُصْغي إلى خريرِ الماءِ

كم رأيناهُ شارداً في المَجالي
وعلى ثَغْره ابتسامةُ ساخرْ
كم لمحناهُ حالمَ القلبِ ،
يحتثُّ خُطاهُ بين الروابي النواضِرْ
تارة ضاحكاً ، وآناً حزيناً ،
شاحبَ الوجهِ مُغْرَقاً في الخواطرْ
قَوّسَتْ ظهرَهُ هُمومُ الليالي
وقَضَتْ بالأسى عليه المقادِرْ

طالما سارَ شاردَ الخطوِ ، مكدوداً ،
كسّارٍ ضلّتْ به قَدَمَاهُ
أو كمن أخلصَ الغرامَ ،
فلم يَلْقَ سوى البَغْضِ والجفاءِ هواهُ
أو كمن وشّحَ الشقاءُ لياليْهِ
وماتت أحلامُهُ ورؤاهُ
أو كمن عاشَ حالمَ الروحِ بالنورِ ،
فلم يرحمِ الظلامُ مُناهُ

وأتى الفجرُ ذاتَ يومٍ
فلم أعثرْ على الشاعرِ الشريدِ النبيلِ
لم أجدْهُ على التلالِ الحبيباتِ الى قلبهِ ،
ولا في السهولِ ،
ومَضى اليومُ ثم أقبلَ ثانٍ
والفَتَى في مقرّه المجهولِ
لا إلى جانب الجداولِ ألفيهِ ،
ولا في الرُبى ، ولا في الحقولِ

وأتاني الصباحُ بالنبأ المجهولِ :
فالشاعرُ الحزينُ صريعُ
حملوهُ على الأكفّ
وألحانُ المراثي تفجُّعٌ وخُشوعُ
آه يا عابرَ السبيلِ اقتربْ واقرأ رثاهُ ،
فذاكَ ما تستطيعُ
كتبوهُ على حجارة قبرٍ
ما بكتهُ غيرَ الدجونِ دموعُ

« الكلمات المكتوبة على القبر »

ها هنا في الترابِ ، في ظُلّةِ الشوكِ
وسادٌ لشاعرٍ محزونِ
جَهِلتْهُ الحظوظُ والمجدُ والشهرةُ
في ظُلمة الزمانِ الضنينِ

لم يَنَلْ من مناهلِ العلم والفنَّ
سوى كأسِ ظامئٍ مَغبونِ
والليالي صاغتْ صِباهُ من الحُزْنِ
وهزّتْ حياتَهُ بالشُجونِ

وسِعَ الكونَ كلَّهُ قلبُهُ الخَفّاقُ
بالودّ والحنانِ الدَفُوقِ
ولقد كافأتْهُ آلهةُ الشِعْرِ
على قلبِهِ النبيلِ الرقيقِ
منح البائسينَ أثمَنَ ما يملكهُ :
عَبرةَ انفعالٍ عميقِ
فحبتْهُ السماءُ أنبلَ ما تمنحهُ للأحياءِ :
قلبَ صديقِ

آهِ يا عابرَ السبيلِ

دعِ الشاعرَ في مَرْقَدِ الرَدَى مُطْمَئِنّا

لا تحاولْ كشفَ الستار عن الخير

ودعْ مُقلةَ المساوىءِ وَسْنَى

فوراءَ التراب قلبٌ

له في رحمة الله مأملٌ ليس يَفْنَى

مأملُ الخافقِ الذي ضمَّهُ اللهُ الى عَدْلِهِ

فأغمضَ عينا

أيار ١٩٤٥

فهرس

١٧٣ / ٤ / ١٩٦٠

عاشقة الليل

باقة من القصائد العاطفية العذبة، تجمع بين الكآبة والتمرد، ويخيم عليها الليل بنجومه وسكونه وظلامه.

إنه الديوان الذي يزخر بالعاطفة العميقة الصادقة التي تنطلق بلا تزويق ولا تكلف من أعماق قلب الشاعرة. وهو الديوان الذي لفت أنظار العالم العربي أول مرة إلى نازك الملائكة عندما لم يكن قد سمع باسمها أحد، فما كاد يصدر حتى أسرع كبار النقاد إلى التنويه به والتحدث عنه.

وها نحن نقدمه للقراء في طبعة جديدة وحلة أبهى عسى أن يتمكن محبو شعر نازك الملائكة من اقتناء هذا الديوان النابض بالمشاعر العاطفية.

منشورات المكتب التجاري - بيروت